عبد الفتاح حسين الزيات

ماذا تعرف عن اليهودية



مركز الراية للنشر والاعلام

عبد الفتاح حسين الزيات

اليهودية

مركز الرايه للنشر والإعلام

مركز الراية للنشر والإعلام
أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٤

اسم الكتاب : اليهودية

المؤلف : عبد الفتاح حسين الزيات

فكرة الغلاف : أحمد فكرى

تصميم الغلاف : الفنان عمرو فهمى

الطبعة الثالثة : ٢٠٠١

رقم الإيداع

٩٨/٥٠٣٣

كلمة الناشر

يحدثنا القرآن الكريم بأن جميع رسل الله جاءوا بتعاليم واحدة ودين واحد هو الإسلام ولقد سمى الله فى كتابه هؤلاء الرسل الكرام بالمسلمين ... آدم وأدريس ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وأيوب وزكريا وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

هؤلاء الأنبياء والمرسلون جاءوا بشريعة واحدة هى الإسلام ولقد سماهم القرآن المسلمين وسمى دينهم الإسلام ومن أجل هذا نزل القرآن محفوظاً ومهيمنا على جميع الكتب حتى يكون هو الأصل فى الرجوع وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٦٤ آل عمران) .

بمعنى إن أتفق أهل الكتاب والتقوا على هذا الشرط فالكل مسلم أى أسلم وجهه إلى الله وهو محسن .

وبهذا يكون الذين أتبعوا الأديان السماوية الأخرى على أصولها التى نزلت بها مقبولين عند الله ولا خوف عليهم ولا يحزنون .

ونحن بصدد هذا نقدم للقارئ هذا الكتاب عن « اليهودية » .. المعنى والمفهوم .. ونحاول أن نقترب من التوراة والقرآن يُعلمنا أدب الحوار إذا جادلنا أهل الكتاب .. ويختار لنا العبارات الجميلة التى نخاطبهم بها أى وجادلهم بالتى هى أحسن .

الناشر

أحمد فكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل فى محكم كتابه : ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ (٢)

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - الذى قال لأبى عبيدة رضى الله عنه : « يا أبا عبيدة . قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار وفى ساعة واحدة ، فقام مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله ... »

وقوله - عليه الصلاة والسلام- « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا إتباعى » . وبعد

فقد عرف الإنسان من قديم ، للديانات منزلتها ومكانتها ، فأحلها محلا يتفق مع قدسيتها ، وإتصلت بوجدانه وفكره وإرادته ، فأصبحت جزءاً من كيانه ووجوده بحيث لا يستطيع أن يعيش بدونها .

غير أن بعض العقول قد تعتريها نوبات حالمة فتنسج لصاحبها (دينا) من أوهامه وأحلامه التى ما تكون دائماً أضاليل وأباطيل ، تأتى

---

(١) سورة آل عمران أية ٨٤

(٢) سورة المائدة أية ٧٨-٨٠

فى صورة نسيج مهلهل ، لا يرد لسعة برد أو لفحة قيظ، وقد يكون هذا النسيج (الدينى) واصفاً فاضحاً فاجراً يحمل عوامل الفناء من داخله يحطم بنيان صاحبه ويصبح كالزبد يذهب جفاء .

لكن الديانات السماوية تبقى إلى يومها الموعود ، وأجلها المحدود ، لأن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض ، ولأن البقاء للأصلح .

والديانة اليهودية إحدى الديانات الثلاث أتت من السماء لموسى- عليه السلام ، فتولت تعليم أمة من أمم الشرق ، فى عصور مبكرة ، ووجهتها إلى ناحية التوحيد المطلق لله رب العالمين .

ولهذه الديانة -اليهودية- نواح متعددة ، أهمها الناحية الدينية الإلهية وخير ما يعبر عنها أصدق تعبير، ويصورها أدق تصوير، هو الأسفار الخمسة التى ينسبونها إلى موسى -عليه السلام- ويطلقون عليها إسم « التوراة » وهذه الديانة غنية بالمعلومات ، ثرية بالأراء التى تدفع الكاتب أو الباحث لإكتشاف كنهها ، وسبر غورها ، والغوص فى معانيها للوصول إلى ما يؤيد وجهة نظره ، ويستخلص منه ما يحتاج من نتائج .

وقد فطن إلى هذه الخصوية التى تتميز بها الديانة اليهودية - بوجه خاص - بعض علماء المسلمين المتقدمين ، فبحثوا ونقبوا ، ودونوا معلوماتهم فى مؤلفات أصبحت مرجعاً لكل من يتناول فن البحث ، والتحقيق ، ودراسة الأديان ، أو ما يطلق عليه « مقارنة الأديان » .

فما زالت اليهودية - كدين - واليهود - كشعب تشغلان أذهان وفكر شرائح كثيرة من العالم ، نظر لما يتسمان به من آراء وأفكار ودعاوى وإدعاءات، تحير أولى الألباب -أحياناً- وتبلبل فكر الباحثين أحياناً أخرى .

ومرد ذلك كله أن هذا الشعب باتت تصرفاته موضع إستغراب أحياناً وإستفزاز وإستهجان أحيانا أخرى ، لأنها تصرفات نابعة من أنانية وعنصرية مفرطة، جلبت عليهم سخط الكثرة من الذين يبحثو فى أخلاقيات الشعوب، وتكوينهم السيكولوجى .

وفى الحقيقة فإن اليهود قوم ذو نفسية عجيبة ، وحالة فريدة بين الشعوب ، لم يوجد لها نظير طوال مراحل تاريخ الإنسانية ، فقد إبتدع لنفسه أسلوبا ومنهجاً لا يصلحان إلا له ولا يعيش إلا بهما ، ووضعوا لذلك أسسا وركائز إستخلصوها - كذباً - من الواح موسى - عليه السلام . ومسخوا ونحلوا ما يعرف بالتوراة -وهى غير التوراة المنزلة جملة وتفصيلاً، وأصبحت هذه التوراة كتابهم المقدس ، ولكنهم لم يقصدوا أن يكون كتابا دينياً يخدم العقيدة اليهودية ، وإنما أرادوه وثيقة سياسية عنصرية ، تتوارى خلف ستار من العقيدة الدينية .

ولأن العقيدة الدينية لدى اليهود وسيلة لا غاية فإن الغرض الذى وضعت من أجله تحقيق مخطط سياسى عنصرى يتمشى مع مصالح بنى إسرائيل على المدى الطويل ، وقد أخذوا فى ذلك بسياسة النفس الطويل .

وفى إطار هذه الفكرة، شغل أحبار اليهود وحاخاماتهم ، أنفسهم بوضع تفسير لهذه التوراة ، يرسم ويخطط لليهود شئون حياتهم ، ويقرر لهم ما ينبغى أن يكون منهم فى كل نشاط من أنشطة الحياة المختلفة ، وبلغ من إحتفائهم بهذا الموضوع ، أن كرسوا له الوقت الكافى حتى يخرج متكاملاً ، يستطيعون من خلاله أن يعلنوا عن أنفسهم كلما سنحت لهم فرصة أو لاحت لهم وسيلة .

ولأن الأطفال هم رجال الغد وحملة المسئولية فيما بعد ، فى كل زمان ومكان فإن اليهود أخذوا ينشئون أولادهم على التزود بتعاليم التوراة والتلمود ، ويجعلون دراستهما جزء لا يتجزأ من تنشئة الطفل اليهودى ، وفى الوقت نفسه يغرسون فيه روح الإستعلاء والتعالى ، والإزدراء لغيرهم من الشعوب .

وسيطرة العقيدة والتعصب ، ملكت على اليهود جل تفكيرهم . فهى تشحن فيهم دائماً روح الإستعداد والعمل للعودة إلى أرض الأجداد .

وفى خضم أجواء الكراهية اليهودية لباقى الشعوب ، إختلطت عند

اليهود أوهام التفوق الزائف والتقدم الخادع ، الذى إخترعوه فصدقوه إختلطت عندهم بمشاعر الحقد والشر الكامنة فى نفوسهم ، فأضحت مع مرور الزمن مناخاً لا يمكن العيش فيه لغيرهم ، أينما حلوا وكانوا ، وظل أثره محصوراً فى الإبقاء على الجنس اليهودى فى حالة إستنفار مستمرة إلى أن أحس اليهود ، أن هذا ليس فى صالحهم، وأن عزلتهم عن باقى الشعوب ربما تقضى عليهم على المدى الطويل، فكان لابد من تغير هذا المفهوم ولو بقدر، وذلك عن طريق الإختلاط والإحتكاك ، بشرط أن لا يطغى ذلك على هدفهم المقدس ، وهو تحقيق الذاتية والشخصية بأى شكل وعلى أية طريقة فتكوّن ما يسمى بـ « حركة الإصلاح اليهودى » فشمر اليهود عن ساعدهم وأخذ نشاطهم يظهر إلى الوجود فى إيحاء بأنه مساهمة فى بناء الحضارة وخصوصا الحضارة الغربية ، ولكن المتتبع لهذه المساهمة لا يفوته المغزى الحقيقى منها، وهو إثبات الوجود أولاً، ثم محاولة السيطرة والتملك ثانياً .

ولذلك إنقسموا فيما بينهم إلى فصائل عمل ، تخصصت كل فصيلة فى فرع من أفرع الحياة وخصوصا فرع المال والإقتصاد الذى برعوا فيه أيما براعة ، حتى أطلق عليهم وبحق رجال المال والإقتصاد ، فهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، ثم أخذوا بفرع الحياة العقلية ، وأسهموا فيه إسهاما فعالاً ، وكذا العلوم والمعارف أخذوا يكرون عليها دراسة وتحليلا ، حتى أذهلوا العالم ، فأخذ ينظر إليهم منبهراً مستغربا من إصرار هذا الشعب الذى أصبح قوة لا يستهان بها .

ولكن وبرغم كل شئ تبقى الحقيقة تعلن عن نفسها دائماً ، وإن طواها النسيان إلى حين فإنها أبداً لن تموت . لقد قال الله كلمته فى هذا الشعب ، وقضى فيهم أمره ولا راد لما قضاه الله ، فلقد تناسوا أو تجاهل بنو إسرائيل وعيد الرب القائل : « وإن نسيت الرب إلهك ، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم بعيدون لا محالة ، كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم ، كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » سفر التثنية : ٨ - ١٩ ، ٢٠ .

أما القرآن الكريم فقد أشبعهم تقريعا وتعنيفا ، وأوسعهم تهديداً ووعيداً فإن ما إرتكبه اليهود فى حق الذات العلية يفوق بكثير ما إرتكبه منكروا الديانات كلها وهو جرم ثقيل ثقل السموات والأرض .

لقد وقع اليهود ضحية وهم صنعوه بأنفسهم ، واعتقاد يقينى فى داخلهم أن الله إختارهم شعباً مختاراً ، وجعله مقدساً ، وفضله على جميع الشعوب والأمم ، وقطع له - الرب - بزعمهم عهداً أبدياً مطلقاً غير مشروط بأن يمحنه ما يشاء ويجعله مطلق التصرف فى خلقه، وملكه ، يمتلك أو يخرب ، يسكن أنى شاء تخضع له الملوك، وتمسح الغبار عن قدميه ، وتكون له الأمم ميراثا ، واقاصى الأرض ملكا ، يحطم اعداءه بقضيب من حديد ، ويكسرهم مثل إناء من خزف .

ولذلك سبق عليهم القول من الله ، التفرق فى الأرض ، والعيش فى رعب وقلق واضطراب ، والجرى وراء الحياة والحياة تضحك منهم ، ثم إنهم بعد ذلك لن يصلوا إلى شئ ، لأن هذه سنة الله فيهم ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ،

عبد الفتاح حسين الزيات

تمهيد

لكل دين من أديان التوحيد الثلاثة كتابه الذى يختص به ، وهذا الكتاب يشكل أساس التوحيد الخالص والإيمان الحق لدى كل فرد من أتباع هذا الدين ، سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو مسلما ، فكل مؤمن يثق فى أن كتابه تسجيل مادى لوحى إلهى مرسل أو منزل ، مع اختلاف صورة التبليغ فقد يكون الكتاب منزلا مباشرة من الله -سبحانه وتعالى- إلى نبى هذا الدين كما هو الحال بالتفسير لصحف إبراهيم وموسى-عليهما السلام-، فقد تناولاها من الله مباشرة ، وقد يكون التبليغ بطريقة غير مباشرة ، كما هو الحال بالنسبة للسيد المسيح عيسى بن مريم ، أو سيدنا محمد - ﷺ - فقد أعلن السيد المسيح أنه يتحدث باسم الأب ، أما سيدنا محمد فقد بلغ بالرسالة بواسطة جبريل - عليه السلام - .

ومن هنا ينبغى أن نؤمن بأن المعطيات الموضوعية لهذه الأديان الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام ، توضع فى مرتبة واحدة من التقديس والإحترام، والجزم بأنها من عند الله، لا دخل لفرد فيها بأى حال من الأحوال . وأنه لا فضل لأحدهم على الآخر ما دام المصدر واحداً .

وكتاب اليهود المقدس هو التوراة وهى كتب موسى - عليه السلام - المعروفة :-

* بالأسفار الخمسة :

وهى ما عبر عنها القرآن الكريم بالصحف ، وهذه الأسفار هى : سفر التكوين ، وسفر الخروج، وسفر التثنيه ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ولكل سفر من هذه الاسفار الخمسة خصائصه المميزة :-

* فسفر التكوين :

يتناول تاريخ العالم منذ الخليقة إلى أن إستقر بنو إسرائيل بمصر .

وسفر الخروج يتناول تاريخ بنى يعقوب ، أى الاسرائليين - فى مصر وخروجهم منها مع موسى - عليه السلام - وحياتهم فى سيناء أربعين سنة، وتشمل أيضا بعضا من الأحكام الشرعية الخاصة بهم ، وأما سفر التثنيه فيتناول أحكام الحروب والمعاملات والعقوبات ، وأما سفر اللاويين فيتناول العبادات والأضاحى والقرابين والمحرمات من الحيوان والطيور ، وأما سفر العدد فيتناول إحصاء القبائل والجيوش والأموال وبعض المعاملات والعبادات :

وظلت هذه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شئ ، وحتى يعرفها الناس جميعا كتب منها ثلاث عشرة نسخة ، وضع نسخة منها فى التابوت ، وسلم لكل سبط من « الأسباط نسخة » كى يذيعوها فى الناس » .

وظلت التوراة صحيحة فى أيدى بنى إسرائيل لم يغيروا منها حرفا واحداً حتى زمن الأسر البابلى الذى وقع بهم على يد بنوخذ نصر عام ٥٨٦ ق . م ولعل الذى يقوى فكرة الاعتقاد بنسبة هذه التوراة الى موسى - عليه السلام - ما جاء فى الآية ١٨ ص ٢٣ من سفر أخبار [١] الأيام الثانى والذى يقول :

(كما هو مكتوب فى شريعة موسى) « فقال الرب لموسى إكتب هذا تذكارا فى الكتاب » وظل هذا الرأى سائداً حتى جاءت المسيحية فاعترفت به حيث جاء فى إنجيل مرقس : « إنما قرأتم فى كتاب موسى أمر العليقة

(١) أضيفت سفار كثيرة الى الاسفار الخمسة حتب بلغ المجموع ٣٨ سفراً .

كيف كلم الله قائلا : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»[1] .

ولكن اليهود بدأوا في تحريف التوراة هذا التحريف الذى غلب عليه التغيير الشامل لها ذلك أنهم في مدينة بابل بعد سنة ٥٨٦ ق . م إتفق العبرانيون[2] والسامريون على ضرورة تغيير التوراة ، ذلك لأنهم تأكدوا حال أسرهم من إدبار الدنيا عنهم وإقبال الدنيا على أبناء إسماعيل ، وإذا استمر حالهم على هذا سوف ينقرض من الوجود نسل إسحاق ، ولذلك إتفقوا على أن يحتفظوا بكيانهم إلى الأبد وفى سبيل هذه الغاية لابد من تغيير التوراة تغييرا شاملا ، وأن تقوم على انقاضها المبادئ الآتية :

(١) الله تعالى إله واحد ولكن ليس للعالمين بل لبنى إسرائيل من دون الناس .

(٢) شريعة التوراة أنزلها الله ولكن ليست للعالمين بل لبنى إسرائيل دون الناس .

(٣) النبى المنتظر الذى أخبر به موسى ، سوف يأتي ولكن ربما يكون من بنى إسرائيل . لا من بنى إسماعيل .

وهذه المبادئ كتبها عزرا لتكون توراة تحل محل توراة موسى ، ثم عرضها عليهم فسروا بها ، وأقروها جميعا .

والوجود اليهودى كله يرتبط فكريا ووجدانيا وإجتماعيا وحضاريا بتلك المبادئ ، وهو ما قام عليه التاريخ اليهودى منذ الأسر البابلى حتى الآن لذلك جاءت سياساتهم وتوجهاتهم مطابقة تماما لهذه التعاليم ، وهى بالنسبة لهم مقدسة لا يجوز الخروج عليها بأى حال من الأحوال .

أما التوراة المنزلة فقد إختفت ، ولم يعد أحد يسمع بها أو أين هى

(١) مرقس ١٢ : ٢٦ .

(٢) قيل سموا بالعبرانين نسبة إلى إبراهيم فقد ذكر فى سفر التكوين باسم إبراهيم العبرانى لانه عبر بهم نهر الفرات ، قيل سموا بالعبرانيين نسبة إلى عِبر وهو الجد الخامس لإبراهيم -عليه السلام - .

على وجه الدقة لأنها لم تشبع نهمهم أو ترضى فضولهم ، أو تحقق لهم السيادة على العالم كما كانوا يتمنون ، ولكنهم أبقوا على الاسم وإتخذوه ستاراً لابراز سياسة عنصرية إستخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططهم السياسى العنصرى ، حيث أنها رسمت فى جملة ما رسمت الخطوط العامة لحياة اليهود ، ووجهتهم نحو ما ينبغى أن يكونوا مع بعضهم بعضا من ناحية ، ومع غيرهم من الأغراب من ناحية أخرى .

مما سبق ، نستطيع أن نكون فكرة عامة عن اليهود ، سلوكا وخلقا وتعاملا ومعاملة ، ووجوداً ، وتطلعات مستقبلية ، والعمل فى دأب والسعى بشتى الطرق لتحقيق غاية (مقدسة) فى وجدانهم ، وقد سلكوا فى سبيل ذلك طرقا مشروعة أو غير مشروعة ، ومع ذلك يعتبرون أنفسهم غير مخطئين (لأن الله إختارهم فلا يقع منهم الخطأ وإنما الخطأ فى تصرف الأغراب - أى غير اليهود ، ومع ذلك سوف نرى [١]

* * *

(١) إنظر التوراة والإنجيل والقران - موريس بوكاى .

الجانب التاريخى لليهود

تدل وقائع التاريخ على أن إبراهيم - عليه السلام - كان سيداً من سادات البدو الذين يعيشون حياة الرعاة فى البلاد الواقعة بين مصر وبابل ، وقد عاش فى عصر يقابل على الأرجح الأسرة الثانية عشرة فى التاريخ المصرى القديم ، أى حوالى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، وكان فى مبدأ أمره يقيم فى كود الكلدانيين ، ثم انتقل إلى حاران بأرض كنعان ، ودفعت ظروف القحط الذى نزل بالمنطقة ، إبراهيم - عليه السلام - أن يهاجر إلى مصر بصحبة زوجته سارة ، حيث الخير والرخاء وحيث أن مصر قد حباها الله بأرض خصبة تجود بها كل المحاصيل الزراعية ، مما يعطى أهلها شيئاً من الأمان والإطمئنان ، ودخلها على عهد الهكسوس . وأقام بها ردحا من الزمان ، ثم غادرها عائداً إلى بلاده بأرض كنعان ، ولما كانت سارة عاقراً فقد إستحثته على الزواج من هاجر جاريتها المصرية ، فأنجبت له ابنه البكر إسماعيل - عليه السلام - ثم أنجبت سارة ابنه الثانى « إسحق » وهنا دبت الغيرة فى قلب سارة إلى التخلص من هاجر وإبنها ، فأوعزت إلى خليل الله إبراهيم - عليه السلام - أن يخرج بهما إلى أرض بعيدة فى شبه الجزيرة العربية كما تعرف الأن .

ثم تزوج إبراهيم - عليه السلام- إمرأة إسمها قطورة ، فولدت له زمران و « بقشان » ، « مدان » و « مديان » و « بشباق » ، و « شوحا » وتقول التوراة : إن إبراهيم أعطى جميع ماله لإسحق ، وأعطى بنى الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق [1] .

ولقد كان إبراهيم هو الذى إتفقت فى شأنه جميع النصوص المقدسة على أنه خليل الله . وتزوج إسحق من إبنة عمه (رفقة فأنجبت له توأمين هما عيسو ويعقوب ، قد تغير إسم عيسو إلى « أدوم » وتغير إسم يعقوب

(١) التوراة سفر التكوين الإصحاح ٢٥ .

إلى « إسرائيل » وإسرائيل كلمة ذات مقطعين : « إسر » ومعناها الله ، إذ كان « إيل » هو الإله الأكبر للكنعانيين .

وتزوج يعقوب من أربع زوجات ، أنجبن له أثنى عشر إبنا ، وهؤلاء الأبناء هم الذين أصبحوا فيما بعد أسباط إسرائيل الأثنى عشر ، وأبرز هؤلاء الأسباط بصفة خاصة الابن الرابع « يهوذا » والتى تنسب إليه مملكة يهوذا ، أما يوسف - عليه السلام - فهو الابن الحادى عشر .

وقصة سيدنا يوسف - عليه السلام - مذكورة تفصيلا فى السورة رقم ١٢ من القرآن الكريم ، فلا يتسع المقام لذكرها ، ولكن عن طريق يوسف -عليه السلام- جاء أبواه وإخوته إلى مصر هربا من القحط الذى أصاب أرض كنعان ، ولكن كتب التاريخ لم تذكر تحديداً دقيقا لزمن نزول يعقوب وبنيه أرض مصر .

ولكنهم دخلوها فى عهد الهكسوس الرعاة فى القرن السابع عشر ق . م .

وجريا على عادة اليهود فى التملق والتسلق، إتصلوا بالهكسوس، وقدموا إليهم كافة الخدمات، ومن بينها خدمات التجسس على أهل البلاد، وإبلاغها إلى الهكسوس، علهم يحصلون على مغنم أو حظوة، وتداخلت المصالح بين الغزاة واليهود ونتج عن ذلك أن تشابهت الأسماء بين الفريقين حتى أن اليهود كانوا يقولون إن الهكسوس يتألفون من قبائل سامية، وعلى وجه الخصوص العبرانيين، وفى هذا اكبر دليل على ما كان بين الغزاة، والضيوف اليهود، من صلات وثيقة أقر اليهود بوجودها فى ثراتهم.

وقد ركن اليهود إلى الدعة والراحة والرخاء منذ أيام « يوسف » - عليه السلام - فلما تغير الحال نوعا ما ، ورأى الفراعنة ضرورة إشتراك اليهود فيما كان يبذل من جهود نحو التنمية فى الزراعة وأعمال البناء وتشييد التماثيل والمعابد ، تذمر اليهود ، وعدوا ذلك عنتا لا يطيقونه ، وفى هذه المرحلة ، ولد سيدنا موسى - عليه السلام - .

وتذكر التوراة عن ولادة موسى إن أمه أخفته خوفا عليه من الأمر

الذى أصدره فرعون بقتل كل المواليد العبرانيين الذكور ، خوفا من السطوة المتزايدة لهذه الفئة الدخيلة ، وبعد ثلاثة أشهر وضعته فى سفط ودفعته فى النهر حتى رأته إبنة فرعون ، فانتشلته ، وتمت تنشئته فى قصر فرعون ، وقد جاء ذكر هذه القصة بدقة فى القرآن الكريم وبالذات فى السورة رقم ٢٨ وهى سورة القصص .

وقام موسى فى بعض مراحل شبابه بجولات فى البرية ، جنوب أرض كنعان (فلسطين) وإتصل بقبائل المديانيين وبزعيمهم الدينى « جثروا » وكان إله المديانيين فى ذاك الوقت يعترف بأسم « يَهْوَه » . وهذا الإسم أطلق على « الله » مراراً فى التوراة .

فى هذا الجو الذى لا يلائم اليهود نفسيا كان لابد من الخروج من مصر ، بعد أن ضاق أهل البلاد بحياتهم الطفيلية فطردوهم ، فأتجهوا إلى سيناء ، ومعهم موسى - عليه السلام - جاء فى سفر الخروج ١١ : ١ « وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام » .

ويختلف الرأى فيمن كان يحكم مصر فى ذاك الوقت : يرى البعض أنه تحتمس الثالث ، بينما يرى البعض الآخر أنه كان رمسيس الثانى أو ابنه منفتاح .

* * *

أحـــوال اليهـــود مـــع
﴿ موســـى - عليه السلام ﴾

في سيناء : تذكر التوراة أن موسى أعطى قومه الشريعة ، ومن أهمها الوصايا المعروفة باسم الوصايا العشر ، ثم إنتقل بهم إلى حيث كانوا يودون الإستقرار بأرض كنعان ، ولكنهم فى تلك الأثناء اذاقوه العذاب الوانا ، إذ كانوا كلما صادفتهم مشقة من أى نوع ، إنهالوا عليه لوما وتقريعا ، بل وسبا فاحشا ، وكلما واتتهم الفرصة كانوا ينصرفون عن عبادة إلههم « يَهْوَه » إلى عبادة إله غيره من ألهة الأقوام الذين يمرون بهم ، أو يخالطونهم ، إذ كانوا يقولون لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، كما كانوا يندفعون نحو شهواتهم دون ضبط أو كف ، فإذا شح طعامهم ذكُروه بالخير والنعيم الذين كانوا فيه بمصر ، وحملوه مسئولية حرمانهم من هذا النعيم ، وإذا دخلوا بلداً منتصرين ، قتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، والأطفال ، وهتكوا الأعراض ونهبوا الأسواق وأوغلوا فى الشر إلى أبعد حد .

وفجأة وبدون مقدمات إنقلبوا على « موسى » فى توراتهم ، إذ تذكر هذه التوراة أن الرب غضب على موسى وأخيه هارون لخيانتهما إياه ، فتقول: « فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة قادش فى برية صين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل » تثنيه ٣٣ .

وهذه الروح المتمردة فيهم ، لا ينكرها العهد القديم المتداول الآن ، فقد سجل موقف هذا الفريق من موسى وهارون فى قولهم : « ليتنا متنا بيد الرب فى ارض مصر ، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم ، نأكل خبزا للشبع ، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر ، لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » خروج ١٦ : ٢ ، ٣ وتاريخ بنى إسرائيل مع أنبيائهم ناطق بهذا الجحود والنكران ، حتى أسفروا فى النهاية عن مقت شديد للنبوة فأعملوا فى أنبيائهم قتلا وتذبيحا ، وكان هارون - عليه السلام - يشعر بعداوة فريق منهم له .

وهذه الروح التى لازمت بنى إسرائيل على اختلاف مراحلهم ، هى التى قادتهم فى بعض هذه المراحل إلى الوثنية ، وحسبنا أن نمر بالعهد القديم ، ونطلع على نماذج لهذه الوثنية التى لا يجدون غضاضة فى التصريح بها ، ولم يمنع وجود موسى وهارون بين ظهرانيهم ، ولكن هذه الوثنية تلمسوها من غيرهم ، وطلبوها خارج حدودهم ، فلم تكن لهم وثنية تخصهم ، أو طقوس لها يعرفون بها ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على نضوب الروح ، وضيق الأفق الذى أدى بهم إلى عبادة بشر أو حجر ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنهم شيئاً ، فى نفس الوقت الذى أعجبت بشريعتهم أمم ، ودانت لها مختارة [1] فما كانت هذه الوثنية فيهم الا حبا فى الخروج على ربهم والضيق بشريعته ، ومخالفة أمره حتى لقبوا بالبيت المتمرد (حزقيال ٣ - ٩)

ومن مظاهر تمردهم ، أنهم بعد أن عبر بهم موسى النهر ، ورأوا بأعينهم قدرة الله الخارقة ، وإعجازه المحيط ، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم ألهة . قال إنكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين » وحين تركهم للقاء ربه الذى إستغرق أربعين يوما لتلقى الواح الشريعة إستخلف فيهم (هارون) أخاه ، فأتخذ لهم

(١) أنظر المسالة الصهيونية فى نظر العلم ، للدكتور محمد عوض محمد .

السامرى عجلا جسداً له خوار، ونادوا فيما بينهم : «هذا إلهكم وإله موسى فنسى» ولم يعبأوا بنصح هارون ولا بقوله :«يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى» وكان من عتاب موسى . لأخيه هارون ودفاع الأخير عن نفسه بأن ﴿ القوم إستضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ .

وبعد موت موسى وهارون إستمر بنو إسرائيل فى العصيان ، وأمعنوا فى التمرد ، فجلبوا الأصنام ممن أحاط بهم من الأمم ، وأقاموها فى أنحاء شتى من مدنهم ، فى المرتفعات ، وعلى الطرق ، وأقاموا لبعضها كهنة وعكفوا عليها ، رجالا ونساء ، متناسين كل نعم الله عليهم ، وقام النسوة بحرق البخور وقدم الكثير لها النذور ، وصرخ فيهم أنبياؤهم ، وهددوهم بالإبادة ، ولكن دون جدوى ، جاء فى سفر حزقيال هذا الإنذار : « واضع جثث بنى إسرائيل قدام أصنامهم، وأذرى عظامكم حول مذابحكم » (٦- ٥).

وإستمرأوا هذا الأسلوب فى العناد والخروج عن المألوف ، وطرقوا كل أنواع المنكرات ، فعبدوا النار ، وبنوا المرتفعات التى فى وادى ابن هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار لمولك » « أرميا ٣٣ - ٣٥ ، ومولك هذا من أوثان الفينقيين ، الذين نقلوه معهم إلى قرطجانة فى توشى وكانت له ذراعان ممدودتان ذوا محور توقد تحت نصبه النار ويوضع الطفل فوق ذراعيه فتهبطان به فيها ، فقتل بنو إسرائيل كثيرا من أطفالهم سفها ، وفيهم من ينذروهم بجرم ما يفعلون » .

وقد ختمت فرقة منهم ، وثنيتها بعبادة البشر ، فعبدت عزيرا - عزرا كاتب الشريعة - التقى ، الذى كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب ، وكان عزرا فى أسرى بابل ، وخرج بكثير منهم إلى بيت المقدس ، حين سقطت بابل تحت الحكم الفارسى ، وقد تذلل عزير لربه ، أن يقبل توبتهم ويصفح عنهم ، فما كان من فرقة منهم الا أن عبدته ، بنظرية الحلول ، وكذلك عبدوا كوشان ملك آرام ، وعجلون ملك مؤاب .

تلك صورة من وثنية بنى إسرائيل يبدو فيها قليل من كثير مما حواه العهد القديم ، أتينا بها فى مجال تعامل اليهود مع موسى - عليه السلام - .

وتوراة اليهود هذه لها مع سيدنا موسى - عليه السلام - شأن وأى شأن فأحيانا تصفه بصفات عظيمة مثل :-

- الحلم : فموسى بالحلم أكثر من جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض تقول : « وأما الرجل موسى فكان حليما جداً أكثر من جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض » سفر العدد ١٢ : ١٣ .

- بالمهابة : والعظمة فى مصر وفى عيون الشعب « الرجل موسى كان عظيما جداً فى أرض مصر فى عيون عبيد فرعون وفى عيون الشعب » خروج ١١ - ٣ .

- بالأمانة : « أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى بيتى» العدد ١٢ : ٧ « بأنه لم يقم فى بنى إسرائيل نبى مثله » « لم يقم فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه» تثنية : ٣٤ : ١٠ .

هذه محاسن الصفات الموجودة فى التوراة خاصة بموسى -عليه السلام- والتى تنسب إليه من قبل كتابها :

وبالمقابل فإن هذه المحاسن رغم قلتها وضآلتها بما لا يتناسب ومقام نبى بنى إسرائيل الأول . إلا إنهم ألصقوا أضعافها من المساوئ التى لا يوصف بها رجل عادى ، فضلا عن أن يوصف بها من إصطفاه الله على الناس برسالته وبكلامه مثل :-

* جعلته التوراة إلها لفرعون، وهارون نبيا لموسى :« فقال الرب لموسى إنظر قد جعلناك إلها لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك » خروج ٧ : ١ .

* جعلته إلها لهارون ، وهو - أى هارون - يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها » خروج ٤ : ١٦ .

* رمتـه بالكفر هو وهارون : « فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكم لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل . لذلك لا تدخلا هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها » العدد ٢٠ : ١٢ .

* إتهمتهما بالعصيان : « وقال الرب لموسى إصعد إلى جبل عباريم هذا ، وإنظر إلى الأرض التى أعطيت بنى إسرائيل ، ومتى نظرتها ، تضم إلى قومك أنت أيضا كما ضُم هارون أخوك ، لأنكما فى برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتمانى قولى أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم ذلك ماء مريبة قادش فى برية صين » [١] .

* وصمته بالخيانة هو وهارون : وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا : « إصعد إلى جبل عباريم . هذا جبل نبو الذى فى أرض مؤاب الذى قبالة اريحا ، وانظر ارض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا ، ومت فى الجبل الذى تصعد إليه ، وإنضم إلى قومك ، كما مات هارون أخوك فى جبل هود ، وضُمّ إلى قومه ، لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل عن ماء مريبة قادش » تثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٢ .

* وصفته بالعصيان مع بنى إسرائيل جميعا : « يُضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل ، لأنكم عصيتم قولى عن ماء مريبة » سفر العدد ٢٠ : ٢٤ .

* نسبت إليه إسناد الإساءة الى الله - تعالى - والإعتراض على فعله فرجع موسى إلى الرب وقال : يا سيد ، لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟

لماذا ارسلتنى ؟ الخروج ٥ : ٢٢

* جعلته مغضوبا عليه ، لإضرابه عن أداء الرسالة « فقال : موسى » أيها السيد ، بيد من تُرسل ، فحمى غضب الرب على موسى » خروج ١٤ : ١٣ : ١٤ .

(١) برية صين شمال خليج العقبة وجنوب بحر لوط .

- فهل هذه صفات تليق بزعيم أو مصلح فى الحياة الدنيا ، فكيف بنبى يدعو الناس إلى التوحيد . وينهى عن الشرك !!!

هذه نماذج لتضارب أراء اليهود فى نبى من أنبياء الله الذين إصطفاهم الله، وهى أراء ولدتها روح التمرد والعصيان وكراهية عامة لبنى الإنسان .

* * *

التــوراة

ويطلق عليها العهد القديم، وتتكون من أسفار موسى- عليه السلام- الخمسة وكانت محل تقديس وإحترام لدى اليهود لفترة طويلة من الزمان، لأنها كانت تعطيهم كل ما يريدون، فكانوا يعرفون أخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الإجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادت والقيام بالطقوس الدينية [1] يقول الشيخ رحمة الله الهندى، فى كتابه: « إظهار الحق » إعلم أنهم يقسمون هذه الأسفار إلى قسمين: قسم منه يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى - عليه السلام - فمجموع الأسفار من القسم الأول يسمى « العهد العتيق »، والقسم الثانى يسمى بالعهد الجديد.

والأسفار الخمسة التى تسمى التوراة [2] هى:

(١) سفر التكوين

(٢) سفر الخروج

(٣) سفر العدد

(٤) سفر التثنية

(٥) سفر اللاويين

---

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٦.

(٢) لفظ التوراة لفظ عبرانى بمعنى التعليم والشريعة.

وقد أضيفت فيما بعد الأسفار الآتية : -

(٦) سفر يوشع بن نون وهو فتى موسى - عليه السلام - الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم .

(٧) سفر القضاء

(٨) سفر داعوث

(٩) سفر صموئيل الأول

(١٠) سفر صموئيل الثانى

(١١) سفر الملوك الأول

(١٢) سفر الملوك الثانى

(١٣) السفر الأول من أخبار الأيام

(١٤) السفر الثانى من أخبار الأيام

(١٥) السفر الأول لعزرا

(١٦) السفر الثانى لعزرا

(١٧) سفر أيوب

(١٨) سفر المزامير

(١٩) أمثال سليمان

(٢٠) سفر الجامعة

(٢١) سفر نشيد الانشاد

(٢٢) سفر أشعياء

(٢٣) سفر أرمياء

(٢٤) مراثى أرماء

(٢٥) سفر حزقيال

(٢٦) سفر دانيال

(٢٧) سفر هوشع

(٢٨) سفر يوئيل

(٢٩) سفر عاموس

(٣٠) سفر عوبديا

(٣١) سفر يونان

(٣٢) سفر ميخا

(٣٣) سفر ناحوم

(٣٤) سفر حبقوق

(٣٥) سفر صفنيا

(٣٦) سفر حجى

(٣٧) سفر زكريا

(٣٨) سفر ملاخى .

وهناك أسفار مختلف عليها عند اليهود وهذه تسعة أسفار وهى :-

(١) سفر أستير

(٢) سفر باروخ

(٣) جزء من سفر دانيال

(٤) سفر طوبيا

(٥) سفر يهوديت

(٦) سفر الحكمة

(٧) سفر ستيكس

(٨) سفر المكابين الأول

(٩) سفر المكابين الثانى

وسند هذه الأسفار مشكوك فيه ، لأنها لا تتساوى مع بعضها فى الطول وتختلف فى النوع ، فضلا عن أن هذه الأسفار كتبت فى مدة زمنية تربو على تسعة قرون ، وبلغات مختلفة ، وغالبا ما إعتمدت على التراث المنقول شفويا ، وقد صححت وأكملت اكثر هذه الأسفار بسبب الأحداث التى حدثت وبسبب ضرورات خاصة ، وفى عصور متباعدة أحياناً » [١] .

وبهذا يتضح تكوين كتاب أسفار موسى الخمسة وما تلاها من أقوال موروثة مختلفة ، جميعها بشكل يقل أو يزيد ، محررون ، وضعوا تارة ما جمعوا جنبا إلى جنب ، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات ، بهدف إيجاد وحدة مركبة تاركين للعين أموراً غير معقولة ، وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعى عن المصادر ..

وإليك مثالا يعبر عن هذا التناقض أدق تعبير :

فى سفر التكوين (الإصحاح ٦ : الآية ٣) يقرر الله قبل الطوفان بقليل أن يحدد عمر الإنسان بمائة وعشرين سنة ، تقول التوراة : « وتكون أيامه مائة وعشرين سنة » ، ومع ذلك يلاحظ فيم بعد ، فى نفس سفر التكوين الإصحاح ١١ الآيات من ١٠ : ٣٢ ، أن حياة أنسال نوح - عليه السلام - العشرة قد دامت من ١٤٨ إلى ٦٠٠ سنة .

إن التناقض بين الروايتين واضح، وتعليله بسيط، فالعبارة الأولى أى إصحاح ٦ الآية ٣ نص يهودى ، يعود تاريخه إلى القرن العاشر قبل الميلاد ،

(١) دراسة فى الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية الحديثة لموريس بوكاى ص ٢٣ .

أما العبارة الثانية فى سفر التكوين الإصحاح ١١ :٣٢ فهى من نص قريب تاريخيا (القرن السادس ق.م) كما هو مذكور فى التراث الكهنوتى الذى هو أصل هذه الأنساب التى تبدو شديدة الدقة فى إحصاء الأعمار » .

على هذا النمط من التناقضات ، والزيادة أو النقصان ، جاءت التوراة بإضافاتها ، وهى تناقضات لا تعطى شيئا من الإطمئنان لأول وهلة ، ولكنها عند الباحث المدقق يرى أنها مقصودة ، وذلك لأغراض شخصية وعوامل نفسية تجيش فى صدور اليهود ، منذ ألاف السنين . وحتى وقتنا هذا ، وهى تناقضات نابعة من طبيعة اليهود النفسية والأخلاقية ولذلك لجأوا إلى ملاحق وتآليف تعزز من هذه النزعة، ومن هذه التآليف التلمود ومشتقاته .

وسوف نتناول هذه المؤلفات لنتبين حقيقة كل منها :

* * *

التلمود (١)

مقدمة لابد منها :

لا يعتبر التلمود وثيقة دينية كما أراد لها اليهود ، وبالتالى ليس من كتب الشرائع الدينية المعمول بها لديهم ، ولكنه وثيقة سياسية ، صنعها الحاخامات إتباعا للخطة السرية التى دأبوا على إتباعها منذ آلاف السنين .

ولكن ما هى حقيقة التلمود كما يتصورها اليهود ؟

لقد تولى الإجابة على هذا السؤال الدكتور هلال فارحى فقال :

التلمود هو التوراة الشفهية ، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية ، وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات . كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين لآخر ، وكان هذا التوقيت هو العصر الذهبى فى درس التلمود ، فقد إتسع نطاق الدرس والتعليم فيه إلى درجة عظيمة جداً ، حتى صار من الصعب حفظه في الذاكرة ، ولأجل دوام المطالعة والمداولة ، وحفظا للأقوال والنصوص ، والآراء الأصلية المتعددة ، والترتيبات والعادات الحديثة ، وخوفا من نسيانها ، وفقدانها مع مرور الزمن ، خصوصا ، وقت الإضطهادات والإضطرابات . فقد دونها الحاخامون بالكتابة سياجا للتوراة ، وقبلت من سيدنا موسى من سيناء وهؤلاء هم التنائيم الذين ألفوا « المشنا » فيما بعد ويعتبرون علماءها الأوائل .

وتوجد نسختان مختلفتان من التلمود :

(١) التلمود البابلى (٢) التلمود الأورشليمى .

---

(١) كلمة التلمود معناها : كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود .

والتلمود الأورشليمي - نسبة إلى أورشليم - وضعه أحبار أورشليم فى طبرية فى أواخر القرن الرابع ويحتوى على تسعة وثلاثين بحثا ، بلغة عبرية واضحة وموجزة ، وكانت كتابته فى زمن الإضطهاد بفلسطين والتلمود البابلي ، وضعه (رب اش) رئيس الأكاديما فى « سورة » قرب بغداد بمساعدة أحبار اليهود فى بابل فى أواخر القرن الخامس ، وهو اوسع نطاقا من الأورشليمى ، وقد كتب حينما كان اليهود فى بحبوحة من العيش والأمان والراحة والحرية التامة فى بابل ، وهو نحو أربعة أضعاف التلمود الأورشليمي ، ويحتوى على ستة وثلاثين بحثا باللغة الآرامية ، لغة البلاد فى تلك الأزمان ، هى تقرب من السريانية ، غير أن الشروح والرموز وبعض المختارات كتبت بالعبرية ، ويتألف التلمود من قسمين : المشنا ، والجمارا .

أولاً المشنا :

المشنا هى خلاصة الشريعة الشفهية ، ومجموعة قوانين اليهود السياسية والدينية والمدنية المتفق عليها باختصار ، وتفسير لها من علماء ذوى ثقة فى أوقات مختلفة ، بدأ الحبر شمعون بن جمائيل فى تنسيقها بمساعدة زملائه وتلامذته سنة ١٦٦ ق . م فى طبريا ، إلى أنها تمت على يد ربى يهوذا الناس ، رئيس الهندوين وتلامذته سنة ٢١٦ بعد إضافات وحواش وتفاسير جاءت فى منتصف القرن السادس على ستة أقسام، تحتوى على ٦٣ بحثا ، خمسة أقسام منها موجودة فى التلمود الأورشليمى .

ثانياً : الجمارا :

الجمارا مبنية على روايات وأحاديث، ومسموعات الحاخامات ، وتحتوى على إيضاحات وشروح وتفاسير على المشنا ، ومختصر البحوث والمجادلات التى حصلت فى معاهد الدرس . من أجل هذه الشروح والتفاسير، وهى تشمل أموراً هامة غير الإيضاحية المذكورة أيضا ، كأمثال وأدبيات وأسئلة وردت عن مواضيع مختلفة ، وإعتقادات وأخبار ومعلومات دنيوية وطبية وفلكية ، وغيرها ، وهى بمثابة « دائرة معارف » .

وقد ظهر مفسرون كثيرون للتلمود فى فرنسا وأسبانيا وفلسطين ، وغيرها نخص بالذكر منهم « ربى شلومو يصحا فى » مفسر الشريعة الذى ولد فى مدينة ترويز بفرنسا ، والعلامة الشهير (موسى بن ميمون) المعروف بالميموني والعالم (ربينو عويديا) وقد اختصر الميمونى التلمود خدمة للإسرائيليين ، وقد قال أحد الكتاب الأوربيين عن التلمود ما يلى :

« لابد أن يأتى يوم يرى الناس فيه أن التلمود هو أهم كتاب فى العالم » .

وهذا التفسير لحقيقة التلمود يحمل الوانا من التدليس والخداع يجب إطلاع القارئ عليها ليرى كيف يصنع الحاخامات أقوالا يفترون بها على الدين ، ليقنعوا اليهود بما يريدون من أضاليل ، وقد صور الغرور لهؤلاء التلموديين أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر ، فزعموا أن جميع البشر الذين لا يعتنقون الديانة اليهودية حيوانات لا تعقل ، أو أنهم خدم وأتباع لليهود ، بل أنهم استمرأوا الغي والضلال فقالوا : إن السماوات والأرض لم تخلق لأحد سواهم ، وأنهم آلهة فى الأرض ، وزادهم الله ضلال فوق ضلال ، فزعموا أن الله - سبحانه وتعالى - عندما كتب الزلة والمسكنة على اليهود ، ظل يبكى وينوح حيث صرح بهدم بيت المقدس ، وإستبدت الحاخامات ، فلا شريعة لهم سوى مرادهم ، ولا قانون يرد عنهم سوى هواهم ، فأمروا بسوء معاملة باقى الشعوب ، وقتل أولادهم ، وإستنزاف دمائهم وثرواتهم ، وإعتبارهم حيوانات غير مفكرة ، وكانوا يتصرفون فيهم تصرف المالك فى ملكه ، وسموهم الأجانب ، والوثنيين ، وآمن بعض اليهود بهذه المبادئ ، واتبعوها ، وقد إرتكب اليهود عدة مذابح بشرية ، ليحصلوا على دم يدعون أنه نافع لهم ، وتأمر ديانتهم باستعماله ، وقد روى التاريخ أنه فى يوم ٢٤ يونيو ١٣٤٠ عقدت جلسة حافلة فى قصر الملك لويس التاسع بباريس، تحت رياسة الملكة برانسن ، وكان القصد منها التحقيق فيما نسب إلى اليهود من الأمور المنكرة ، ومن جملتها إستنزاف الدم البشرى تنفيذا لاعتقاداتهم ، وعلى ما جاء فى تلمودهم ، وقد أعطيت الحرية المطلقة لبنى

إسرائيل فى الدفاع عن أنفسهم ، وعن تلمودهم ، ولم يتمكنوا من إخفاء حقيقة ما نسب إليهم ، فأقروا به .

وقد عرف وقتئذ من ترجمة نصوص تلمودهم خلاصة ما يعتقدون به وهو : « إن يسوع الناصرى ، موجود فى لجات الجحيم ، بين القار والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل المسيحى من التعاليم المأمور بها ، وأن العهد مع مسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به ، وأنه من الواجب دينا أن اليهودى يفضل ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى ، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل » .

أما الذبائح البشرية فقد ذكرت فى جملة كتب ، منها ما قاله المؤرخ اليهودى يوسيفوس الشهير المولود فى ٣٧ والمتوفى بروما سنة ٩٥ م عن أنطوخيوس الرابع الملقب بأبى غان ، فاتح مدينة أورشليم الذى تبوأ العرش ١٧٤ ق . م .

قل المؤرخ اليهودى : إن هذا الملك اليونانى ، حين دخل المدينة المقدسة ، وجد فى أحد محلات الهيكل رجلا يونانيا ، كان اليهود قد ضبطوه ، وسجنوه بمكان ، وكانوا يقدمون له أفخر المأكولات حتى يأتى يوم يخرجون به لاحدى الغابات فيذبحونه ، ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينشرون رماده فى الصحراء وكان هذا السجن تحقيقا لشريعة لا تجوز مخالفتها ، وهى أن يأخذوا فى كل سنة ، يونانيا ، فيطعمونه أفخر الطعام ، ليسمن ، فإذا سمن نفذوا فيه الوصية ، وأن هذا المسجون ، إسترحم الملك أن ينقذه فأنقذه .

وقد جمع الدكتور/ وهلنج الأستاذ بجامعة براج كتابا سماه « اليهودى وفق شريعة التلمود » وبين فيه معتقدات بنى إسرائيل تفصيلا ، وطبع هذا الكتاب بعد ترجمته إلى اللغة الفرنسية فى باريس ، وهو يوضح للقارئ

العربى حقيقة الشريعة الصهيونية ، ويطلعه على المبادئ الخطيرة التى يعتنقها الصهيونيون ويسيرون عليها فى حياتهم الإرهابية ، بل إن هذه العصابات الصهيونية التى تتسمى الآن بأسم « إسرائيل » لا تؤمن بغير التلمود ، شريعة ودينا ، ولا تسير فى حياتها الاوفق التعاليم التلمودية ، وقد تحقق ذلك عندما حاول وزير الشؤن الإجتماعية فى إسرائيل الإعتراف بالتوراة ككتاب تسير إسرائيل على مبادئه، فرفض زعماء الصهيونية ذلك ، وأصروا على جعل التلمود كتابهم المقدس ، فاضطر الوزير الإسرائيلى إلى الإستقالة إحتجاجا على هذا الإصرار .

* * *

محتوى التلمود : *

قلنا إن التلمود يتكون من : المشنا والجمارا . وسوف نتناول كل واحد منهما تناولا تاما لنعرف مدى تأثير هذين الكتابين فى التفكير اليهودى .

فبعد المسيح - عليه السلام - بمائة وخمسين عاما ، خشى أحد الحاخامات المسمى « يوضاس » أن تعبث الأيدى بهذه التعاليم ، فجمعها فى كتاب أسماه « المشنا » *

وكلمة المشنا معناها الشريعة المعتادة ، أو الشريعة المكررة ، لأن شريعة موسى - عليه السلام - المرصودة فى الأسفار الخمسة مكررة فى هذه الأسفار - حسب زعمهم - أما الغرض من « المشنا » فهو إيضاح وتفسير ما التبس فى شريعة موسى ، وتكملة تلك الشريعة - حسب ما يدعون وقد زيدت فى القرون التالية أقوال كثيرة على كتاب « المشنا » الفت فى مدارس فلسطين وبابل *

ثم علق علماء من اليهود على « المشنا » تعليقات طويلة مسهبة أطلقوا عليها إسم « جمارا » وعلى ذلك تكون المشنا المشروحة بهذه الصورة مع « الجمارا » هى التى كونت التلمود *

وهذه التعليقات مستمدة من مصدرين أصليين : أحدهما المسمى بتلمود « أورشليم » وهو الذى كان موجوداً بفلسطين سنة ٢٣٠ ، وثانيهما تلمود « بابل » وهو الذى كان موجودا بها سنة ٥٠٠ ، ويحتوى على أربع عشرة ملزمة ، وهو تارة يكون بمفرده ، وتارة يكون مضافا مع المشنا .

وتلمود « بابل » هو المتداول بين اليهود ، وهو أعم من الأول . وكان يوجد فى نسخ كثيرة الفاظ السب فى حق السيد المسيح - عليه السلام - والسيدة العذراء، والرسل، وكانت هذه الألفاظ مذكورة فى النسخ الأصلية ، والطابع الغالب على هذه التعليقات الطعن فى المسيحيين ، والحط من شأنهم والذراية بهم، وأن كل ما جاء فى التلمود خاصا بالأمم غير اليهودية ، كلفظ « أميين أو أجانب أو وثنيين » يقصد بها المسيحيون . *

وعندما أطلع المسيحيون على هذه الألفاظ هالتهم، وتذمروا ضد اليهود، فقرر المجمع الدينى اليهودى بمدينة بولونيا سنة ١٦٣١ ، أنه من الآن فصاعدا، يترك مكان هذه الألفاظ ، بياض، أو دائرة . بدلا من الفاظ السب فى حق السيد المسيح، والسيدة العذراء ، ولكنهم إستثنوا مدارسهم الخاصة، فأبقوا هذه الألفاظ فى مناهجهم ، فكانوا يشرحون للتلاميذ أن المسيحيين مفطورون على الخطايا وإرتكاب المعاصى ومقارفة الآثام والرذائل ، فلا يجب العدل معهم ، وبلغ الغلو عند اليهود إلى الحد الذى جعلوا التلمود أفضل من التوراة ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد غلبت عليهم نزعتهم العنصرية فجعلوا التلمود منزلا مثل التوراة ، اللهم الا قليل منهم لايقرون بذلك ، فقد جاء فى صحيفة من هذا التلمود ، أن من دَرَسَ التوراة فعَل فضيلة لا يستحق عليها أية مكافأة ، ومن درس « المشنا » فَعَلَ فضيلة يستحق عليها مكافأة ومن درس « الجمارا » فعل أعظم فضيلة *

وقد جاءت العنصرية الفجة فى بعض مؤلفات اليهود ، فقد جاء فى كتاب «شافيجا» أن من احتقر أقوال الحاخامات إستحق الموت ، أما من إحتقر أقوال التوراة ، فإنه لا ينال عقابا ، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود وإشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى *

وقد جاءت أقول الحاخامات وعلماء اليهود ، مطابقة لهذا المبدأ .

وجاء فى أحد كتبهم المسمى « الهمارا » - وهو شرح على التوراة - أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط والخبز هو التوراة ، بل يلزمه شئ آخر ، وهو أقوال الله ، وقواعد التلمود .

وجاء فى كتاب آخر لأحد الحاخامات « أن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله » .

وقد جاءت شريعة التلمود شفاهية ، فبلغت من الكثرة حداً لا يتصوره إنسان ، لذلك فإن جميع ما جاء فيها موضع شك ورفض لأنه ينافى الواقع ،

ويتصادم مع الطبيعة الإنسانية : وذلك للأسباب الآتية :-

- أن ما يحتويه التلمود من تعاليم ، مناف تماما لجميع الديانات والشرائع ، فليس من حق الحاخامات - أو أى أحد - أن يزعموا أنهم رسل مكلفون بتبليغ رسالة من قبل الله ، حتى يكتبوا أقوالا لا علاقة لها بالرسالات السماوية ، أو بالشرائع الإلهية .

- اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية ، وكل أقوالهم تعتبر صادرة من الله ، يقول الرابى مناحم كباقى الحاخامات : إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها فى السماء .

وذكر فى التلمود إن الحاخامات المتوفين ، مكلفون بتعليم المؤمنين - اليهود طبعا- فى السماء .

وبلغ الغلو مداه عندما يقول أحد الحاخامات : إعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء ، لأن أقوالهم هى قول الله فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس ، فصدق قوله ولاتجادله ، فما بالك إذا قال لك إن يدك اليمنى هى اليمنى *

* * *

ما يترتب على مخالفة التلمود :

سن التلموديون عقوبات على مخالفة تعاليم التلمود ، وأهم هذه العقوبات الحرمان ، وأسبابه : -

١ - إحتقار الحاخامات ولو بعد وفاتهم .

٢ - إحتقار أقوالهم أو إحتقار الشريعة .

٣ - التسبب في إبعاد الناس عن الطريق المستقيم ، والمحافظة على الشرع .

٤ - بيع الحقول والأراضي الزراعية لغير اليهود .

٥ - تأدية اليمين أمام محكمة غير يهودية ضد شخص يهودي .

وهذا الحرمان نوعان :

حرمان مؤقت مدته ثلاثون يوما ، تمتد إلى ستين ثم إلى تسعين يوما ، يمنع اثناءها المحروم من مخالطة باقي الجماعة اليهودية ، ويعيش منفصلا عنها ، لا يقربه أحد غير زوجته وأبنائه ، وأهل منزله على بُعد أربعة أذرع منه ، ومحظور عليه أثناء مدة الحرمان أن يغتسل أو يحلق .

والنوع الثاني :

وهو الحرمان الأكبر ، ويتضمن فصل المحروم عن الجماعة في كل شئ إلا ما يمنع عنه الموت جوعا ، ويجري صدور القرار به في إحتفال توقد فيه الشموع ، ويرتفع صوت الأبواق ، معلنة لعن الخاطئ ، ثم تطفأ الأنوار ، رمزا إلى أن المجرم ، قد خرج عن الأنوار الإلهية ، ونص هذا القرار هو :

- بناء على حكم إلهنا ، إله الآلهة، يحرم فلان بن فلان ، من المحكمتين محكمة أول درجة والمحكمة العليا ، ومن القديسيين والملائكة ومن الجمعيات الكبيرة ، والصغيرة ، ويصاب بالقروح والأمراض الخبيثة كلها ، ويكون منزله مسكنا للجن، ويكون نجمه مظلما في السماء، ومن المغضوب عليهم ، ويطرح جسده للوحوش المفترسة ، والثعابين ، ويفرح أعداءه ، ومن يريد

الشر له ، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره ، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو، ويلعن أولاده حياته ويكون ملعون من فم «عيد بريرون» و « عشتاريال » و « صندلفون» و « عزرائيل » و «غسيل» و « باشتيل » و « إسرافيل» و « سنجاسيل» و « ميخائيل » و « جبرائيل » و «وفائيل » ويكون محروما من فيم ، « زغرا ، وهاها قيل » الإله الأكبر ، وفم العشرة أسماء المعظمة ، ثلاث مرات ومن فم زرتاج ، حامل الختم ، ويغرق مثل «كورية » و « جيشه » ويسقط ولا يقوم ، ويلفظ من قبور بنى إسرائيل ، ويعطى إمرأته لغيره ، ويميل إليها آخرون بعد موته ، ويسقط هذا الحرمان إلى فلان بن فلان ويكون من نصيبه ، أما أنا وبنى إسرائيل ، فتكون لنا بركة الله وسلامه ، آمين .

وهذا النص رغم ما ينطوى عليه من سخف واضح ، فإنه يعكس النزعة العدوانية الإنتقامية المتغلغلة فى النفسية اليهودية ، هذه النفسية التى تتحكم فى مصائر اليهود ، وتوجههم فى حياتهم المعيشية وفى تعاملهم مع باقى الشعوب .

* * *

من أخلاقيات التلمود

يحتوى التلمود على نصوص خطيرة ومثيرة إلى حد بعيد ، ذلك لأنها لم تدع شيئاً مقدسا أو محترما ، إلا وإخترقت قدسيته وسلبته إحترامه ، والطابع الغالب على هذه النصوص هو الشر والخطر .

ونحن نعتقد أن القارئ يجب أن يعرف شيئا من هذه النصوص حتى يتعرف على أخلاقيات هذا الشعب الذى نذر نفسه أن يدمر كل شئ حتى لا يبقى على الساحة الا هو ، وهو فى سبيل ذلك يغتال القيم والحضارات ويدمر كل شئ جميل أعطاه الله لبنى الإنسان ، ولهم فى كل شئ رأى يخالف الحقيقة والواقع ويجلب سخط الله ثم الناس عليهم .

الله فى رأى التلمود :-

يقول التلمود : إن النهار ، إثنتا عشرة ساعة ، فى الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفى الثلاث الثانية يحكم ، وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ، ويقول مناحم - أحد كتبة التلمود - إنه لا شغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين « أسمودية » فى مدرسة السماء ، ثم أن « أسمودية » ينصرف من السماء بعد صعوده إليها كل يوم .

والحوت كبير جدا يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ٣٠٠ فرسخا دون أن تضايقه ، ونظرا لحجمه الكبير، فقد رأى الله أن يحرسه من زوجته، لانه

إن لم يفعل ذلك إمتلأت الدنيا وحوش تهلك من فيها ، ولهذا حبس الله الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين فى الفردوس .

الهيكل :

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، ومن ذلك الوقت ، لم يمل إلى الرقص مع حواء ، بعد أن زينها . بملابسها ، ونسق لها شعرها ، وقد إعترف الله بخطئه فى هدم الهيكل ، فصار يبكى ، ويمضى ثلاثة أرباع الليل ، يزأر كالأسد قائلا : تبالى، لأنى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ، ونهب أولادى ، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط ، بعد أن كان ملئ السماوات والأرض فى جميع الأزمان .

وعندما يسمع الله تمجيد الناس له ، يطرق برأسه ويقول :

« ما أسعد الملك الذى يمدح ويبجل ، مع إستحقاقه لذلك ولا يستحق شيئاً من المدح الأب الذى يترك أولاده فى الشقاء » أما سَبُع « الآى » الذين يشبهون زئر الله بزئره ، فهو سبع غابة « الآى» الذى أراد إمبراطور روما أن يراه ، ولما أحضر إليه ، وصار على بعد أربعمائة فرسخ ، زأر زئرا ، أحدث ضجة أجهضت النساء الحبالى ، وهدمت أسوار روما ، ولما صار علىٰ بعد ثلاثمائة فرسخ ، زأر مرة أخرى ، فوقعت أضراس أهل روما ووقع الإمبراطور من فوق عرشه ، على الأرض ، مغشيا عليه ، وطلب بعد إفاقته ، أن يعود هذا السبع إلى مكانه فوراً .

خطيئة الله : تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا :

يندم الله ، على تركه اليهود فى حالة التعاسة ، حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته ، وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض فى أغلب الأوقات، فتحصل الزلازل .

وأما تخطئة القمر لله ، فإنه قال له : أخطأت حيث خلقتنى أصغر من الشمس ، فأذعن الله لذلك ، وإعترف بخطئه ، وقال : إذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى ، لأنى خلقت القمر أصغر من الشمس .

الله فى التلمود ، ليس معصوما من الطيش ، لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش ، كما حدث منه يوم أن غضب من بنى إسرائيل فى الصحراء وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك ، بعد إفاقته ، ولم ينفذ ذلك القسم ، لأنه يعرف أنه يخالف العدالة .

جاء فى التلمود أن الله إذا حلف يمينا غير قانونية ، إحتاج إلى من يحلله من يمينه ، وقد سمع الله -تعالى- أحد عقلاء الإسرائيليين يقول : من يحللنى من اليمين التى أقسمت بها ، وحينما علم باقى الحاخامات أنه لم يحلله منها ، إعتبروه حماراً ، لأنه لم يحلل لله من يمينه ، ولذلك نصبوا ملكا بين السماء والأرض إسمه « مى » لتحليل الله من إيمانه ، ونذروه عند لضرورة .

وكما أن الله حنث فى يمينه ، فقد كذب أيضا ، بقصد الإصلاح بين إبراهيم -عليه السلام- وزوجته سارة، وبناء على ذلك، يكون الكذب حسنا لأجل الإصلاح ، والله مصدر الشر - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - كما أنه مصدر الخير ، وقد جعل للإنسان طبيعة رديئة ، وسن له شريعة ، لولاها لما وقع فى الخطأ ، وقد أجبر اليهود على قبولها ، ولهذا لم يرتكب الملك داود خطيئته بقتله «لأوروبا» وبزناه بإمرأته، ولا يستحق العقاب على ذلك، لأنه هو السبب فى كل ذلك .

إضفاء الصفات البشرية على « الله » :

لا يتورع اليهود عن المضى فى سلب القدسية عن الله - عز وجل - فنراهم يمضون فى التجسيم لأبعد ما تنتهى إليه أهواؤهم .

فالتلمود يصف الله صراحة بصفات البشرية ، فهو يحب ويكره ويغضب ويضحك ويبكى ، ويحس بتأنيب الضمير ، ويلبس التمائم ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفى الدرجات . يقومون على خدمته ، ويدرس التوراة ثلاث مرات كل يوم ، وهذه صفات بشرية يتعالى الله - جل جلاله - عنها .

* * *

أخلاقيات التوراة

إن من يطالع التوراة يصدم فى أسلوبها الخالى من السلوك الأخلاقى ، وهذا السلوك السلبى لازم التوراة على كبر حجمها وهو سلوك لم يجد اليهود غضاضة فى التمسك به ، وإلى وقتنا هذا ، على الرغم من بعد المسافة بين تآليف التوراة والزمن الذى نعيشه الآن ١٩٩٧م .

فأول ما يطالعنا بهذا الصدد ما نسبته التوراة للجد الأكبر لبنى إسرائيل إبراهيم - عليه السلام - ، الذى أعطى البركة ومنح الميثاق .

قالت التوراة فى حق أبى الأنبياء - عليه السلام - على لسانه بمناسبة إعتزامه التوجه مع زوجته سارة إلى مصر هربا من القحط انه قال : « إنى قد علمت أنك إمرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه إمرأته فيقتلوننى ويستبقونك ، قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك » (تكوين ١٢ : ١١ : ١٣) وأضافت التوراة : أن ذلك قد حدث فعلا حيث جاء فيها : « فأخذت (أى سارة)(إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها ، وصار له خدم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال » (تكوين ١٢ : ١٥ - ١٦)

ومما يدل على عدم الدقة ، أن التوراة أعادت هذه القصة مرة أخرى حين نزل إبراهيم وأمرأته مغتربين فى أرض جراد ، فروت على لسان إبراهيم أنه

قال عن سارة أنها أخته مما دعا أبيمالك ، ملك جرار إلى أخذها عنده ، فلما إكتشف الحقيقة ، عنف إبراهيم على خداعه إياه ، ولكنه في الوقت نفسه أعطاه غنما وبقراً وعبيداً وإماء ، والفا من الفضة ، ورد إليه إمرأته » (تكوين ٢٠) .

ولم تكتف التوراة بما الصقته بأبى الأنبياء - عليه السلام - فروت نفس القصة مع إبنه إسحق ، حين قصد إلى أرض جرار ، ليقيم فيها وسأله أهل المكان عن إمرأته فقال : هى أختى ، لأنه خاف أن يقول إنها إمرأتى لعل أهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة (زوجته) لأنها حسنة المنظر ، وحدث إذا طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ، ملك فلسطين ، أشرف من الكوة ، ونظر فإذا إسحاق يلاعب رفقة إمرأته ، فدعا أبيمالك ، إسحاق ، وقال إنما هى إمرأتك فكيف قلت هى أختى ، فقال له إسحاق ، لأنى قلت لعلى أموت بسببها ، فقال أبيمالك ، ما هذا الذى صنعت بنا لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع إمرأتك فجلبت علينا ذنبا » (تكوين ٢٦ : ٧ - ١٠) .

والمغزى من هذه الروايات ، الإيحاء الضمنى بإباحة إستخدام الزوجية إتقاء لضر متوهم ، أو إبتغاء لكسب مرجو ، وهى قاعدة من القواعد الأخلاقية التى عليها اليهود - الغاية تبرر الوسيلة .

وتنتقل التوراة بعد ذلك إلى لون آخر من الأخلاقيات الجنسية ، ترويه بنفس البساطة وكأنه من الأحداث العادية ، المألوفة فى حياة الناس .

فتذكر بالتفصيل ما نسبته إلى إبنتى لوط - عليه السلام - حينما إئتمرتا بسقيه الخمر ليثمل فتضطجع كل منهم معه ليلة حتى يكون له منهما نسلا ، يقول النص التوراتى : « إن لوطا سكن فى مغارة مع إبنتيه بعيداً فى الجبل ، قالت إبنته البكر للصغيرة : أبونا شاخ وليس فى الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل الأرض ، هل نسقى إيانا خمراً ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلا » وقد كان ، إذا نفذنا الخطة ليلة بعد أخرى ، وكانت نتيجة التآمر ، أن حبلت إبنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر إبنا ودعت

اسمه مؤاب ، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت إبنا ودعت إسمه بنى عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم (تكوين ١٩- ٣٦- ٣٨).

وإستمرأت التوراة هذا الأسلوب الرخيص فى التعامل مع الأنبياء وأبنائهم فلم تكن قصة إبنتى لوط هى الفريدة أو الأخيرة فى هذا الاتجاه ، فقد أعادتها التوراة على نحو مشابه ، حين روت إغتصاب أمنون بن داود أخته ثامار العذراء إبنة داود أيضا (صموئيل الثانى ١٣ : ١ - ١٤) مما أثار حفيظة أخيها بشالوم على آمنون فدبر لقتله ونفذ مؤامرته فعلا (صموئيل ١٣, ٢٨).

ومن المفارقات أو التناقضات العجيبة ، أنه فى نفس الوقت الذى كانت أخلاقيات المجتمع اليهودى تبيح فيه مثل هذه الكبائر ، دون أية غضاضة كان اليهود يعدون ، أن وقوع شخص غير يهودى ، فى حب فتاة يهودية ورغبته فى الزواج منها جريمة لا تغتفر ، ولا يغسل عارها إلا الموت للمحب وأهله ، الذين لطخوا الشرف اليهودى بذلك الحب ، وفى هذا روت التوراة قصة « دينة » إبنة يعقوب من زوجته « ليئة » التى أحبها شكيم بن حمور الحوى ، واتصل بها جنسيا ، ثم أبدى ابوه رغبة إبنه فى الزواج منها ، مهما يغل صداقها ، فوافق بنو يعقوب على ذلك بشرط إختتان الذكور من أبناء المنطقة ، قائلين لهم : « إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ، ونسكن معكم ونصير شعبا واحداً ، وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ إبنتنا ونمضى (تكوين ٣٤ - ١٥ - ١٧) وقبل الكنعانيون الشرط ، ونفذوه بأمانه ، وتم الزواج وأفسحوا ليعقوب وأهله المقام بينهم ، ولكن خلق الغدر الذى جبل عليه اليهود ، لم يلبث أن ثار فى نفوسهم ، إذ الغدر حدث فى اليوم الثالث أن كانوا متوجعين بعد الختان ، أن إبنى يعقوب : شمعون ولاوى أخوى ليئة أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا على المدينة وهى أمان وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمود وشكيم ، وأخذا دينه من بيت شكيم وخرجا ، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ، ونهبوا المدينة (تكوين ٣٤-٣٥- ٢٩) .

وليس هذا كل ما إحتوت عليه التوراة من الوان الاسفاف الجنسى، إذ أن

فيها الكثير والكثير من أمثال هذه المساوئ والمخازى التى تطفح بها صفحاتها ، مثل ما جاء فيها من أن داود - عليه السلام - إستهل حكمه بأغتصاب زوجة أحد رجال جيشه ، بعد أن رآها عارية وهى تستحم ، فكان أن دفع بالزوج إلى الصفوف الأمامية فى الجيش لكى يقتل فتبقى المرأة خالصة له (صموئيل الثانى ١١ - ٢٦) وقد أنجب داود من هذه المرأة إبنه سليمان (صموئيل الثانى ١٢ ، ٢٤) وسفر استير مثل صارخ على الإباحية الجنسية والأخلاقيات البغيضة لدى اليهود ، فقد إستطاع أحد اليهود من سبايا بابل وإسمه مردخاى ، الوصول إلى بلاد الفرس ، وكانت له إبنة عمه بارعة الجمال تدعى إستير فدفع بها إلى حريم ملك الفرس «أحشو بروش» ، وقد حاول هامان ، وزير الملك الإيقاع بمردخاى هذا ، حتى أصدر الملك أمرا بقتل جميع اليهود فى المملكة ، ولكن مردخاى بالاتفاق مع « استير » إستغل جمالها وتأثيره على الملك ، وذلك صدره ضد وزيره الأول ، بغية التخلص منه ، وإحلال مردخاى ، محله ، وقتل الآلاف من اتباع هامان .

ومن العجيب أن التوراة ترى فى هذا الأسلوب ما يستحق التسجيل والتمجيد ، ما دامت الغاية تبرر الوسيلة .

ومن التناقض الفظيع أن التوراة ، قد حرمت الزنا فى وصاياها العشر كما هو معروف ، وأوصت اليهود فى هذا الشأن قائلة : « لا تدنس إبنتك بتعريضها للزنى لئلا تزنى الأرض وتمتلئ بالرزيلة (لاويين ١٩ - ٢٩) . تأتى نفس التوراة وتمجد هذا العمل القائم على الزنا ، وتعده مفخره تستحق التسجيل بل وصل التمجيد لهذا الفعل إلى أن تفرد له سفراً خاصا يسمى «سفر أستير » .

نخلص من هذا الجانب عن أخلاقيات التوراة إلى أن السياق الذى وردت فيه الأمثلة المتعددة لهذا التحلل الخلقى المتمثل فى الناحية الجنسية ، يشير إلى أن « رب » إسرائيل فى ذلك الحين كان كثيراً ما يقف من ذلك التحلل موقفا يجمع بين إتجاهين متعارضين فى وقت واحد ، هما : الإباحية ، والإدانة فى أن معا ، فبينما يعلن هذا الرب ، إنكار السلوك الجنسى المبتذل

إذ بهذا الإنكار ، يصاغ فيما يشبه الإعتذار لصاحبه ، والتمجيد لشخصه وقد رأينا هذا واضحا فيما نسبته التوراة إلى داود وسليمان ، من مباذل ثم ما أردفت من رضى « الرب » عنهما .

وما نحسب أن هذا هو المتوقع من كتاب يزعم الدعاة له ، أنه أساس الشريعة ، ونبع الخُلق فى حضارة الإنسان ، ولكنه إنعكاس لخلق قوم يفاخرون بكتابهم وينتسبون اليه ، ويزعمون أنه وحده يقول الحق ، وغيره من الكتب اساطير وأكاذيب ،

فهل كانت التوراة اليهودية كذلك ؟ .

* * *

عنصرية التوراة

زيادة على كم التناقضات والمخالفات التى إرتكبها محرفوا التوراة فإن مخزون العداء عندهم نحو الإنسانية ، يطفح بالسخافات والبذاءات والسقوط الأخلاقى ، وعدم التزامهم بفضيلة واحدة تشفع لهم عند المتعاطفين معهم على الأقل .

والإنسان يشعر بالأسى والأسف عندما يرى أن اليهود نبذوا وحرفو أسفار موسى ، وأخضعوها للفرز والتحميص ، فما وافق هواهم أبقوا عليه وما خالفهم أخفوه أو أعدموه ، وكأنى بهم ، يدافع العناد والحقد والتعصب والتمرد ، قالوا لأنفسهم : ولماذا لا يكون لنا كتاب من عندنا وننسبه إلى موسى - عليه السلام - حيث أن التوراة ، أو الواح موسى تفتح علينا باب المعارضة والانتقاد ، وباتت لا تشبع فضولنا ونهمنا من التملك ، والزعامة والرياسة فكان التلمود صورة صارخة للعنصرية المستفزة .

إن العنصرية عند اليهود إعتقاد يقينى لا بقبل النقض أو النقد لأنهم يزعمون ان الله إختارهم شعبا مختاراً ، وجعله مقدسا ، وفضله على جميع شعوب العالم ، وقطع له عهداً أبديا مطلقا غير مشروط بأن يمنحه ما يشاء، ويجعله مطلق التصرف فى خلقه وملكه ، يتملك أو يخرب يسكن أنى شاء ، تخضع له الملوك ، وتمسح الغبار عن رجليه ، وتكون له الأمم ميراثا ، وأفاض الأرض مسلكا ، يحطم أعداءه ، بقضيب من حديد ،

ويكسرهم مثل إناء من خزف ، لايعطى بناته لغريب ولا يأخذ بنات الغريب لبنيه ، ويعيش شعبا طاهراً مبرأ من رجسات الشعوب .

وشرعية هذه الاكاذيب المستفزة والمتميزة ، عهد من طرف واحد قطعه إلههم - بزعمهم - أولا لإبراهيم قائلا : « وأقم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك ، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض كنعان وفلسطين ، ملكا أبديا ، وأكون إلههم » أشعيا ٤٩ : ٤ ، ٥ .

ثم أكده لإسرائيل قائلا : « إسمع يا إسرئيل ، أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتتملك شعوبا أكبر وأعظم منك ، ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء ، فأعلم أن الرب إلهك هو العابر ناراً آكلة ، هو يبيدهم ويذلهم أمامك ، فتطردهم وتهلكهم سريعا ، ولا تقل حين يغنيهم الرب إلهك من أمامك قائلا، أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتتملك أرضهم ، بل لكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجديدة لتتملكها لانك شعب صلب الرقبة تثنية ٩ : ١ - ٦ .

لقد أباح اليهود لأنفسهم ، ما لا يقره عقل ، ولا خلق ، ولا دين ، وتكونت الأفكار العنصرية القائمة على العقيدة والعهد ، لا على الوفاء والعقد ، وإليك بعض الأمثلة لهذه العنصرية كما جاء فى التلمود .

إن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الإبن جزء من الأب ، وكما أن الإنسان يعلو على البهيمة، كذلك اليهود وحدهم أرفع شعوب الأرض ، لأن زرع الأغراب كزرع الحصان ، وشعب الله المختار وحده يستحق الحياة الأبدية ، وأما كلمة «لا تقتل التى جاءت فى وصايا موسى ، فمعناها : لا تقتل إسرائيليا ، ومن يقتل إسرائيليا ، فإن الله يحاكمه ، كمن قتل العالم بأسره » الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، د . يوسف نصر الله ص ٦٨ .

وجاء فى التلمود أيضا : إن الله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم

ودمائهم ، فإذا سرق غير اليهودى ، يعاقب ، أما اليهودى فتحل له السرقة وغش الغريب ، لأنه مكتوب فى العهد القديم - لا تغش قريبك ، وليس لا تغش القريب » همجية التعاليم الصهيونية (بولس حنا ص ٧٣)

جاء في سفر التثنية : لا تقرض أخاك بربا فى فضة أو شئ آخر مما يقرض بالربا ، بل الأجنبى إيا تقرض بالربا ، وأخاك لا تقرض بالربا (تثنية ٢٣/ ٩ - ٢٠)

مسموح غش الأمى وأخذ ماله ، بواسطة الربا الفاحش، ولكن إذا بعت أو إشتريت من أخيك اليهودى شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه (الكنز المرصود ص ٧٥)

جاء فى سفر التثنية :

« لا تأكلوا جثة ما ، تعطيها للغريب الذى فى أبوابك فيأكلها ، أو تبيعها لأجنبى ، لأنك شعب مقدس من الرب الهك » (تثنية ١٤ - ٢١) نسبوا إلى موسى - عليه السلام - أنه قال : « لا تشته إمرأة قريبك ، فمن يزنى بأمرأة قريبه يستحق الموت » .

وقد قلنا إن التلمود ، لا يعد القريب إلا اليهودى فقط ، وعلى ذلك . فإتيان زوجات الأجانب - غير اليهود - جائز عندهم .

* والتلمود لا يعد اليمين التى يقسم بها اليهودى ، فى معاملاته مع باقى الشعوب يمينا ، لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يمينا .

* جاء فى سفر اللاويين « بالعدل تحكم لقريبك ، لا تسع فى الوشاية بين شعبك ، لا تقف على دم قريبك، لا تبغض أخاك فى قلبك ، ولا تنقم ، ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك » .

* جاء فى التلمود أيضا : إن الله لا يغفر لليهودى الذى يرد للآدمى ماله المفقود ، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب .

* يقرر التلمود : أن من يرفع وثنيا من حفرة وقع فيها ، فإنه يبقى على رجل من عبدة الأوثان ، لذلك إذا سقط وثنى فى حفرة فأسددها عليه بحجر كبير .

* يعاقب التلمود بالحرمان كل من يبيع حقلا أو غيطا لغير اليهودى ولذلك كانت الشركات اليهودية فى فلسطين ، تحرم نقل الأراضى من اليهود إلى العرب .

* الشفقة بالوثنيين ممنوعة ، ولذا يتحتم على اليهودى قتل من يستطيع قتله منهم ، فإن لم يفعل يكون قد خالف الشرع .

من العدل أن يقتل اليهودى كل كافر بيده ، لأن من يسفك دم الكافرين يقدم قربانا للرب .

الكفار فى قول بعض اليهود هم يسوع المسيح ومن تبعه ، وفى قول للبعض الآخر كل الوثنيين بوجه عام .

قتل الخارجين على اليهودية وخاصة المسيحيين ، فرض على اليهود وهو من الأفعال التى يكافئه الله عليها ، فإن لم يتمكنوا من قتله فمفروض أن يتسببوا فى إهلاكه فى أى وقت ، وعلى إى نحو ، لأن التسلط على بنى إسرائيل ، سيدوم ما دام واحد من هؤلاء الكفار على قيد الحياة .

من يقتل مسيحيا أو أجنبيا أو وثنيا يكافأ بالخلود فى الفردوس وبالجلوس هناك فى السرايا الرابعة ، أما من قتل يهوديا فكأنه قد قتل العالم اجمع ، ومن عمل على خلاص يهودى ، فكأنه خلص الدنيا بأسرها .

الذى يرتد عن الدين اليهودى يعامل معاملة الأجنبى ، إلا إذا كان قد فعل ذلك من قبيل الغش فهذا جائز ، أما الذين تعمدوا وإختلطوا بالنصارى وعبدوا الأصنام مثلهم ، فإنهم يعدون كأنهم منهم ويلقون فى حفرة ولا يخرجون منها .

والتوراة اليهودية لها مع المرأة شأن خاص .

اليهودى لا يخطئ إذا إعتدى على عرض أجنبية ، فإن عقود الزواج عند الأجانب فاسدة ، لأن المرأة غير اليهودية بهيمة ، ولا تعاقد مع البهائم ومن ثم فلليهود الحق فى إغتصاب النساء غير المؤمنات ، وغير اليهوديات .

- الزنا بغير اليهود ، ذكورا وإناثا ، لا عقاب عليه ، لأن الأجانب من نسل الحيوان .

من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أنه يجامع أخته ، فمن نصيبه نور العقل ، ومن رأى أنه يجامع مع خطيبته فهو يحافظ على الشريعة ، ومن رأى أنه يجامع إمرأة قريبه فله الحياة الأبدية .

مصرح لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات ، إن لم يستطع مقاومتها على أن يكون ذلك سراً حتى لا يضر بالدين .

ليس للمرأة اليهودية أن تشكو إذا زنا زوجها فى المسكن الذى يقيمان فيه .

اللواط بالزوجة جائز، لأن الزوجة للإستمتاع ، وهى فى هذا الشأن كقطعة اللحم اشتريت من الجزار ، ويمكن لصاحبها أكلها بالطريقة التى تروقه .

رأى التوراة فى اليمين :

- إذا إضطر يهودى ، أن يقسم يمينا لمسيحى فله أن يعتبر هذا كأن لم يكن على أنه لا معنى للنزاع بين يهودى ومسيحى بخصوص الملكية ، لأنه من المقرر أن مال المسيحى ودمه ملك لليهودى يتصرف فيه كيف يشاء .

- يجوز لليهودى أن يقسم زوراً ، ولا جناح عليه إذا حول اليمين وجهة أخرى ، وإذا كانت اليمين إجبارية كأن أقسمت بتكليف من الحكومة مثلا ، فمن حق اليهودى أن يعتبر أنه غير ملزم بها وله الحق فى الكذب فيها .

- يجوز لليهودى أن يؤدى يمينا كاذبة أمام الحكام ، كلما سئل عن شئ لا يجوز له الخوض فيه طبقا للشريعة اليهودية .

إذا سرق يهودى أجنبيا وكلفته المحكمة بأداء اليمين ، فعلى باقى اليهود أن يسعوا إلى جانب أخيهم الهودى عند الأجنبى ، حتى يعفيه من حلف اليمين ، فإذا أصرت المحكمة على أدائه اليمين ، وأمكن للمتهم أن يقسم زوراً ؟ دون أن يفتضح أمره ، فعليه أن يفعل .

- على اليهودى أن يؤدى يمينا كاذبة ، ولا يعرض أحداً من إخوانه اليهود لضرر ما ، وإذا عرف اليهودى أمراً يضر بمصلحة اليهود ، وينفع غيرهم فعليه الا ينبئ به السلطة الحاكمة ، وإذا فعل ، يكون قد إرتكب ذنبا كبيرا .

رأى التوراة فى المسيح والمسيحيين :

- مصرح لليهود على أن يقسموا كذبا ، على أن كتبهم المقدسة خالية من الطعن فى المسيحيين ، إتقاء للضرر أو العداء .

- لا فرق بين المسيحى والوثنيين، لأن الناصريين [١] الذين يتبعون أضاليل يسوع المسيح ، معدودون من الوثنيين ، ويجب أن يعاملوا معاملتهم - . محرم على اليهود إن يعيشوا مع اليهود الذين يتعمدون (أى الذين يتحولون إلى المسيحية) ويختلطون بالجويم أى بالمسيحيين ، ومحظور عليهم أن يدعوهم أخوة ، بل يحتم الشرع عليهم أن يلقوهم فى الهاوية .

- المسيحيون أجانب أى وثنيون وكفار ، ومن ضمن أعياد الوثنيين أول الأسبوع المسمى بيوم الناصريين ، أى يوم الأحد .

- يسمى التلمود ، يسوع الناصرى ، ابن النجار ، على نحو ما كان اليهود يطلقون عليه أثناء حياته ، كما يسميه أيضا (التمثال) .

- كان المسيح ساحرا ووثنيا ، ومن يتبعون مذهبه وثنيون أيضا مثله ، ومن ثم يجوز قتلهم .

- كان المسيح مجنونا ، وهذا يطابق كل ما كان هيرودس ومعاصروه يعاملونه به ، كما يطابق وضعهم إياه بأنه ساحر ومتفق مع الشيطان - كان المسيح كافراً ، لا يعرف الله ، ومن ثم فإن المسحيين كفرة مثله .

- الطقوس الدينية المسيحية (القداس . الكهنة والشموع والكؤوس) نوع من عبادة الأصنام .

(١) أتباع يسوع الناصرى .

- يلزم أن يقتل الإنسان بيده ، الكفرة مثل يسوع الناصرى ، وأتباعه ويلقيهم فى هاوية الهلاك .

- الأناجيل كتب الكافرين ، كتب الظلم والخطايا ، ويجب على اليهود إحراقها ولو كان إسم الله فيها .

- يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم ، بين الزفت والقطران والنار، وأن مريم أتت به عن طريق الزنا مع الجندى ياندار .

- الكنائس المسيحية قاذورات، وهى كبيوت الضالين، ومعابد الأصنام ، فيجب على اليهود تخريبها ، والواعظون بها أشبه بالكلاب .

- من الواجب الدينى على كل يهودى ؟ أن يلعن المسيحيين كل يوم ثلاث مرات ، وأن يطلب من إلهه أن يبيدهم ، ويفنى ملوكهم وحكامهم ، وعلى اليهود أن يعاملوا المسيحيين ، كحيوانات دنيئة غير عاقلة .

- وهذه الآراء جاءت وليدة فكرة خاطئة رسخت فى أذهانهم وجسمتها لهم حاخاماتهم ، وهى أنهم شعب الله على الأرض ، فقد سخر لهم (الحيوان) البشرى ، كل من ليس يهوديا ، من مختلف الأمم والأجناس ، سخره لهم لأنه يعلم أنهم محتاجون إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالدواب ، والانعام والطير .، ونوع ناطق تندرج تحته كل الجماعات الإنسانية من غير اليهود ، ويتمادى الحاخامات فى السخرية من عقول اليهود ، فيوحون إليهم بأنهم ما تفرقوا فى الأرض إلا لكى يمتطوا ظهور هذه الأجناس ، ويحركوهم كيف يشاءون ، ويستغلون علومهم وفنونهم لمنفعتهم ، وفى سبيل ذلك أباح اليهود أن يزوجوا بناتهم الجميلات للملوك والأمراء والوزراء والعظماء وأن يدخلوا أبناءهم فى الديانات المختلفة لتكون لهم الكلمة العليا فى الدول ومصائرها ، وليستطيعوا بذر بذور الفتنة فيها ، حتى يحارب بعضهم بعضا ، فيجنى اليهود اكبر الثمار من ذلك (١) .

هذه هى المخططات الفكرية لحاخامات التلمود ، وهى مخططات بهدف

(١) التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى د . صبرى جرجس .

على المدى البعيد إلى السيطرة والاستغلال والهيمنة وفرض الهوية الصهيونية على العالم ، وهو هوية وسوس بها الشيطان الى حاخاماتهم فباتت عندهم عقيدة يقينية لا تقبل المناقشة والويل لمن يحاول أن يتناولها بالنقد أو النقض .

* * *

إنتقام الله من بنى إسرائيل
الغزو والشتات

نبذة تاريخية :

كانت وفاة سليمان -عليه السلام- حوالى ٩٧٥ ق.م ، وبعدها يبدأ الدور الثانى للملوك الذين حكموا بنى إسرائيل ، إذ أن الدور الأول لملوك بنى إسرائيل بدئ بطالوت -وإنتهى بوفاة سليمان- عليه السلام وقد أعلن (رحبعام) بن سليمان نفسه ملكا على بنى إسرائيل ، بعد وفاة أبيه، وبايعه على الملك سبطا يهوذا وبنيامين الذين كانا يقيمان فى المنطقة الجنوبية، وحول أورشليم، ثم توجه (رحبعام بعد ذلك إلى مدينة (شكين) [1]، ليأخذ البيعة من بقية الأسباط فأجتمع حوله شيوخهم ، وطلبوا منه ترك الشدة والقسوة ، ولكنه رد عليهم بغلظة ، وهددهم بقوله : « انى سأوادبكم بالعقارب » .

وهنا أعلن الأسباط العشرة إمتناعهم عن مبايعة (رحبعام) ملكا عليهم وأ؟ختاروا (بريعام) ليكون ملكا عليهم .

وهكذا إنقسمت مملكة بنى إسرائيل بعد وفاة سليمان إلى مملكتين [1] (مملكة يهوذا بالجنوب وعاصمتها أورشليم ، وأول ملوكها (رحبعام) وقد تعاقب عليها من بعده عشرون ملكا ، وإستمرت حتى سنة ٥٨٦ ق .م حيث سقطت فى هذه السنة فى يد بختنصر البابلى وعمرت أربعة قرون (٢) مملكة إسرائيل فى الشمال ، وكان ملكها «يربعام» وقد تعاقب عليها من بعده

(١) هى نابلسى الآن .

حوالى تسعة عشر ملكا ، وعمرت حوالى مائتين وخمسين سنة ، وكانت نهايتها على يد سرجون ملك آشور سنة ٧٢١ ق . م .

وقد إنتشرت المفاسد فى الدولتين إنتشار كبيرا ، وعمتهما الفتن الداخلية ، إلا أن دولة يهوذا كانت أحسن حالا من دولة « إسرائيل » .

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة فى كتابه « تاريخ بنى إسرائيل من إسفارهم » كانت دولة إسرائيل تمثل أكثر الأسباط ، وكانت أوسع مساحة من دولة « يهوذا » إلا أن أفرادها - ملوكا وشعبا إنحرفوا عن الطريق المستقيم منذ بداية دولتهم ، وظلوا منحرفين إلى نهايتها ، وقد تعددت الإنقلابات فى دولة إسرائيل ، وأدى ذلك إلى سفك الدماء ، وإبادة قرى برمتها فى سبيل الحكم والسلطان ، كما أن عاصمتها قد تغيرت اكثر من مرة بسبب الفتن ، فقد كانت « شكيم » هى العاصمة أولا ، ثم صارت العاصمة (ترصة) ثم (شامر) القريبة من « شكيم » والتى يقوم مكانها اليوم قرية إسمها (سبسطية) وقد جددت فى عهد الرومان ، وأخذت إسمها منهم .

* * *

أما دولة « يهوذا » فكانت أحسن - فى الجملة - من دولة إسرائيل ، سواء من ناحية الإستقرار أو من ناحية الصلاح ، فقد سجلت الأسفار لبعض ملوكها نشاطا غير يسير فى مختلف المجالات : « ونوهت بما كان لهم من مجد وغنى وقوة ، غير أنها سجلت كذلك، على كثير من ملوكها إنحرافا وظلما وتضعضعا شديداً ، وكانت فترات الإنحراف أطول من فترات الإستقامة ، وقد إستمرت سلسلة ملوك دولة « يهوذا » فى ذرية سليمان -عليه السلام- بخلاف دولة «إسرائيل» فقد تعاقب عليها ملوك من اسباط مختلفة » .

وكانت علاقة الدولتين بغيرهما من الدول علاقة عداء وحرب .

وهذا نابع من طبيعة اليهود العدوانية وكراهيتهم لغيرهم من الشعوب

(١) سفر الملوك الإصحاح الثانى عشر .

ونتج عن ذلك أن إصطدموا فى حروب متكررة مع غيرهم من الدول .

- ففى عهدى - رحبعام وبريعام - غزا (شيشنق) فرعون مصر «فلسطين» وصعد على أورشليم ونهبها ، وبسط سيطرته على دولة يهوذا، ثم على دولة إسرائيل ، وإمتد سلطانه إلى منطقة الجليل .

- فى سنة ٧٤٠ ق . م غزا ملك آشور دولة إسرائيل، فبذل له ملكها «مناحيم بن جاد» ألف وزنة من الفضة ليترك له الملك فى يده ، فقبل منه . فى سنة ٧٢٧ ق.م تولى عرش آشور (سلمناصر الثالث) فتمردت عليه إسرائيل، فزحف عليها، فقدم إليه (هوشجع بن آيلة) آخر ملوكها هدايا كثيرة ، قبلها ملك آشور، وتوجه عائدا إلى بلاده ، ولكنه لم يكد يصل إلى (نينوى) حتى عاد الإسرائيليون إلى عصيانهم، فزحف عليهم مرة ثانية، وضرب حصاراً شديداً حول السامرة عاصمتهم، ولكنه مات قبل أن يفتحها .

- فى سنة ٧٢١ ق . م قام خليفته (سرجون الثانى) بغزو دولة إسرائيل فحاصرها حصاراً شديداً ، ثم دارت بينه وبينهم معركة ، إنتهت بزوال دولة إسرائيل زوالا تاما ، وسبى (سرجون) الأسباط ، وأجلاهم عن أوطانهم إلى ما وراء الفرات ، وأقام على البلاد واليا آشوريا من قبله ، وبذلك قضى على دولة إسرائيل قضاء مبرما لم تقم لها بعده قائمة .

وقد استطاع (أسر حدون) ابن سرجون الثانى، أن يوطد سيطرته بعد أبيه على بلاد الشام، ومن جملتها دولة (يهوذا) التى ظلت فى نطاق حدودها بعد زوال دولة «إسرائيل» مع بقاء بلاد هذه الدولة الزائل تحت إدارة الآشوريين .

ومن بين الذين قدموا له الهدايا من ملوك «يهوذا» كترضية له (منسى بن حزقيا) إلا أن (منسى) هذا ، حاول التمرد على الآشوريين بعد ذلك ، فأنقض عليه (إسرحدون) واخضع مملكة يهوذا لآشور ، وسيق (منسى) مكبلا بالأغلال إلى بابل، وهناك تعهد بالولاء والخضوع فأعيد إلى عرشه .

فى سنة ٦١٠ ق . م ، (إنتهز (نخو) فرعون مصر ، فرصة إنحطاط

مملكة آشور ، فأعد جيشا لغزوها ، فتصدى له (يوشيا بن أمون) ملك يهوذا ودارت بين الفريقين معركة ، إنتهت بمقتل (يوشيا) ثم واصل «نخو» زحفه نحو الشام ، فاستولى على كثير من مدنها ، وتابع سيره حتى وصل إلى الفرات ، ثم بلغه أن اليهود عادوا إلى العصيان ، فعاد إليهم وأدبهم وعزل ملكهم ، وعين ملكا آخر مكانه .

وكانت نهاية دولة « يهوذا » على يد « بختنصر » البابلى .

ذلك أن بختنصر ، ملك بابل ، أغار على أورشليم ٦٠٦ ق.م ، فنهبها وأجلى كثيرا من أهلها ، وقبض على يهواكين بن يواتقيم) ولكن (صدقيا) ثار عليه بعد ذلك ، فأعاد «بختنصر» الكرة مرة ثانية على أورشليم سنة ٥٩٩ ق.م ، وأجلى من اليهود فى هذه المرة عشرة آلاف من أعيانهم ، وأشرافهم إلى بابل وحمل كنوز الهيكل والبلاط الملكى إلى بلاده .

ولكن «صدقيا» أعلن العصيان للمرة الثانية سنة ٥٩٣ ق.م ، فزحف بختنصر على أورشليم للمرة الثالثة سنة ٥٨٦ ق.م ، وفى هذه المرة قتل ملكها «صدقيا» شر قتلة ، وقتل معه ابناءه واسرته ، ودمر مدينته أورشليم ، وأسوارها وهيكلها ، واحرقها بالنار ، ونهب خزائنها ، وإستاق شعب يهوذا إلى بابل أسيراً ، وهناك بقوا فى أسره حوالى خمسين سنة »[1] .

وهكذا حل عقاب الله على هذا الشعب الغادر الحقود والمتمرد . ونعتقد أنه قصاص عادل يتناسب مع جرائم اليهود ، فكانت الغزوات الآتية :

الغزو الأول :

كان أول من غزا بنى إسرائيل فى الحقبة ، عقابا لهم ، كما جاء فى الإصحاح الثالث من سفر القضاء ، هو شعنائيم ملك آرام النهرين فاستعبدهم ثمانى سنوات وكان خلاصهم منه على يد عنتئيل بن قفاز أخى كالب الأصغر ، وكالب هذا كان أول قضاتهم بعد موت يوشع .

« فحمى غضب الرب على بنى إسرائيل فباعهم بيد كوشان وشعتايم ملك

(١) إنظر بنو إسرائيل فى القرآن والسنة د . محمد سيد طنطاوى .

آرام النهرين ، فعبد بنو إسرائيل كوشان وشعتايم ، ثماني سنين ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب ، فأقام مخلصا لبنى إسرائيل ، فخلصهم عنتئيل بن قفاز أخو كالب الأصغر » سفر القضاء - الإصحاح الثالث .

نلخص من هذا النص التوراتي أن ملك آرام قد إستعبد بنى إسرائيل ثمانى سنوات ، وهذا يدل دلالة قاطعة على مدى تمكن هذا الملك منهم ومدى ذلته لهم ، وتصرفه فى كل شئ يهمهم .

* * *

الغزو الثانى :

وكان ثانى من غزا بنى إسرائيل ، هو عجلون ، ملك موآب حيث جمع عليهم بنى عمون والعماليق ، فضربهم ، واستعبدهم ثمانى عشرة سنة ، كما جاء فى الاصحاح السابق ، إذ ذكر أن ذلك كان عقابا لهم لعودتهم إلى الشر والفساد ، بعد موت مخلصهم الأول ، وكان خلاصهم على يد (أهودا بن جيرا) الذى تمكن من اغتيال ملك مؤآب فى غرفة نومه .

يقول الاصحاح الثالث من سفر القضاء : « وعاد بنوا إسرائيل، يعملون الشر فى عينى الرب ، فشدد الرب ، عجلون ملك موآب ، على إسرائيل لأنهم عملوا الشر فى عينى الرب ، فجمع إليه بنى عمون ، وعماليق ، وسار وضرب إسرائيل ، وإمتلكوا مدينة النخل ، فعَبَدَ بنو إسرائيل ، عجلون ملك موآب ثمانى عشرة سنة ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب ، فأقام لهم الرب مخلصاً « أهود بن جيرا البنياميني » .

الغزو الثالث :

جاء فى الإصحاحين : الرابع والخامس ، من سفر القضاء قصة تسلط «بابين» ملك حاصور الكنعانى ، على بنى إسرائيل ، بعد موت أهود بن جيرا ، حيث عادوا إلى صنيع الشر ، فباعهم له ، وكان إسم قائده الذى قهرهم «سيسرا» فخضعوا له عشرين سنة ، وكان خلاصهم على يد « يا راق بن أبينوعم» .

يقول الإصحاح : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، بعد موت أهود فباعهم الرب ، بيد يابين ، ملك كنعان ، الذى ملك فى حاصور ، ورئس جيشه «سيسرا» وهو ساكن فى حروشة الأمم فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب ، لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد وهو ضايق بنى إسرائيل بشدة عشرين سنة » (قضاء الأصحاح الرابع)

الغزو الرابع :

فى الإصحاح السادس خبر عن غارات المديانيين والعمالقة وبنى المشرق، على إسرائيل، حيث دفعهم الرب إلى أيديهم ، بسبب عودتهم إلى الشر وقد قويت أيدى المغيرين عليهم ، حتى إضطروهم إلى ترك مدنهم وقراهم والإلتجاء إلى الكهوف والمغارات والحصون ، فذلت إسرائيل ذلا عظيماً لمدة سبع سنين ، وكان خلاصهم على يد «جدعون» .

يقول الإصحاح : « وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ، فدفعهم الرب ليد مديانى، سبع سنين ، فاعتزت يد مديان على بنى إسرائيل فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب »

الغزو الخامس :

يذكر الإصحاح العاشر ، أنه قد قام على قضاة بنى إسرائيل بعد ذلك «تولع بن فوة» ثم «بائير الجلعادى» وعاد بنو إسرائيل بعد ذلك إلى فسادهم وإنحرافهم، فعبدوا «البعليم» وعشتا روت، وآلهة آرام وحيدون ، وموآب ، وبنى عمون ، والفلسطينين ، حيث دل هذا الوصف على أن كل جماعات بنى إسرائيل ، فى شرق الأردن وغربه ، قد زاغوا عن طريق الله ، طريق الحق، والصراط المستقيم ، وإندمج كل منهم فى عبادة آلهة الشعوب التى حولهم ، وقد قال الإصحاح العاشر من سفر القضاة :

* إن غضب الرب إشتد عليهم ، وباعهم لبنى عمون ، فتغلبوا على الذين فى أرض الأموريين ، فى شرق الأردن من بنى إسرائيل ، ثم عبروا النهر ، وحاربوا أسباط يهوذا وبنيامين وأفرائن ، وهم الساكنون فى المنطقة

الجنوبية والوسطى ، فى غرب الأردن ، وضيقوا عليهم الخناق وكان خلاصهم على يد زعيم إسمه « يفتاح الجلعادى » .

يقول النص : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم والعشتو رات ، وآلهة آرام ، وآلهة صيدون ، وآلهة موآب ، وألهة بنى عمون والهة الفلسطينيين ، وتركوا الرب ولم يعبدوه ، فحمى غضب الرب على بنى إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين ، وبيد بنى عمون، فحطموه ، ورضخ بنو إسرائيل فى تلك السنة ثمانى عشرة سنة ، جميع بنى إسرائيل الذين فى عبر الأردن فى أرض الأموريين ، الذين فى جلعاد ، وعبر بنو عمون الأردن ، ليحاربوا أيضاً يهوذاً ، وبنيامين ، وبيت أفرائيم ، فتضايق إسرائيل جداً »[1]

فعبارات الإصحاح توضح أن عبادتهم لآلهة من حولهم ، وإستعبادهم بهذه الطريقة منتهى الذلة والمهانة ، الأمر الذى يجعلنا نسألهم : أين كتابكم وتوراتكم . بل أين وحيكم ، إليس هذا دليلاً على أنكم تعيشون وهما كبيراً ؟؟

وتوراتهم تقول : إنهم بعدما دخلوا فى عبادة إلهة من حولهم، تركوا الرب، هكذا بكل بساطة، وكأن ربهم طوع أمرهم ، فأين إذا الذاتية أو السمة أو الصفة التى تميزهم عن غيرهم . إذا كانوا أهل دين ، وأصحاب وحى .

لقد ضاع كل ذلك ، بل أن كل ذلك سراب ووهم بشهادة كتبهم ، وإصحاحاتهم، ولعل ما يثير الضحك والسخرية والعجب أيضاً، أن الإصحاح الحادى عشر يذكر أن خلاصهم فى هذه المرة كان على يد زعيم إسمه «يفتاح الجلعادى» وأن هذا الزعيم إبن بغى، طرده أخوته الشرعيون، وبايعه شيوخ جلعاد ، على الرئاسة، والسمع والطاعة، فقبل، ونذر أن يقدم أول من يلقاه من بيته ذبيحة شكرا للرب، فلقى إبنته ، وهى وحيدته، ولكنه وفى بنذره فأحرقها ، يقول النص :

(١) سفر القضاء الاصحاح العاشر .

« وكان يفتاح الجلعادى جبار بأس ، وهو إبن إمرأة زانية ، وجلعاد ولد يفتاح ثم ولدت إمرأة جلعاد له بنين ، فلما كبر بنو المرأة ، طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث فى بيت أبينا ، لأنك أنت إبن إمرأة أخرى . فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام فى أرض طوب ، فأجتمع إلى يفتاح رجال بطالون ، وكانوا يخرجون معه ... »

الغزو السادس :

بعد موت يفتاح تولى القضاء زعيم إسمه «إبصان» ثم تولاه إيلون الزبولونى، ثم عبدون بن هليل الفرعونى، وعاد بنو إسرائيل إلى شرهم، فدفعهم الرب إلى الفلسطينيين أربعين سنة كما ورد فى الإصحاح الثالث عشر .

«ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فدفعهم الرب إلى الفلسطينيين أربعين سنة» (سفر القضاة الإصحاح الثالث عشر) [1] وجاء الإصحاح السادس عشر ليحكى قصة شمشون ودليلة وقصة شمشون والمرأة الزانية ، ثم ما إشتمل عليه الاصحاح التاسع عشر من سفر القضاء من الوان الفوضى الجنسية ، وقد لخصت المزامير أوزار ذلك العهد بقولها : «وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دما زكيا ، دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان ، وتدنست الأرض بالدماء ، وتنجسوا بأعمالهم ، وزنوا بأفعالهم » مزمور ١٠٦ : ٣٦ .

ثم يجئ سفر صموئيل الأول ليروى قصة أول معركة حربية حقيقة خاضها الاسرائيليون ضد عدو حقيقى ، فقد كانت كل الإشتباكات التى خاضوها لا تخرج عن مناوشات لا تندرج تحت مسمى الحرب الحقيقية ، إلى أن كان الاشتباك مع «فنستينا الآرية» فقد كان موقعة حربية حقيقية ، لقى فيها بنو إسرائيل هزيمة منكرة ، وقبائل «فنستيا» هذه كانت على عهد رمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٦ ق . م .

(١) إنظر الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف للدكتور يحيى محمد على ربيع .

ويروى لنا سفر صموئيل إن المعركة أسفرت عن أربعين ألف قتيل إسرائيلى وبعد فترة وجيزة ، إستحث فيها شيوخ بنى إسرائيل الشعب وحملوا معهم « تابوت عهد الرب » فكانت المعركة الثانية التى هزم فيها بنو إسرائيل هزيمة منكرة أيضاً، وهرب كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربات عظيمة جداً، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، وأخذ تابوت عهد الرب، ومات إبنا عالى (كبير القضاة / حفنى وفينحاس) وصدمت نتيجة المعركة (عالى) فمات، وخلفه صموئيل، وكان آخر من ولى على إسرائيل من القضاة، وبذل صموئيل قصارى جهده فى توحيد قومه ضد الفلسطينيين، وطلب منهم أن يكفوا عن عبادة الأصنام والأوثان، ويعودوا إلى عبادة الرب، إله إسرائيل قائلاً لهم « فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت ، من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب ، واعبدوه فينقذكم من الفلسطينيين ، فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروت ، وعبدوا الرب وحده (صموئيل الأول) وكانت النتيجة كما تروى التوراة ، أن هزم بنو إسرائيل الفلسطينيين وإستردوا منهم المدن التى كانوا قد إستولوا عليها ..

ثم تولى شاءول، امر بنى إسرائيل، وتقدم لمحاربة الفلسطينيين، ولكنه كان متردداً، خاصة وإنه كان على رأس الفلسطينيين أحد عتاة المقاتلين وإسمه « جوليات » لولا أن تقدم غلام صغير من الرعاة متطوعاً لمنازلة جوليات، وقد تم لهذا الغلام وإسمه « داود » وقتل غريمه، وتحولت دفة الحرب لصالح الإسرائليين، وكوفئ داود على ذلك بتزويجه من « ميكال إبنة شاءول » بعد أن تقدم لها بمهر قدره مائة من مذاكير الفلسطينيين بعد قتلهم.

وإضطرمت الغيرة بين شاءول ، وداود ، حتى أصبحت فتنة ، ثم إنتهى حكم شاءول بعد معركة هزم فيها هزيمة منكرة ، فانتحر هو وابناؤه الثلاثة وحامل سيفه وجميع رجاله ، وهرب بنو إسرائيل ، صموئيل الأول ٣١ ثم تولى داود ملك بنى إسرائيل حوالى عام ٩٩٠ ق . م .

وقد نسبت التوراة إلى داود أنه بدأ عهده بمحاربة أنصار شاءول وباغتصاب زوجة أحد رجاله ، وقد رآها عارية وهى تستحم ، فدفع

بزوجها إلى الحرب ، لكى يموت وتبقى المرأة خالصة له «صموئيل الثانى ١١ : ٢- ٢٦» هذا بالإضافة إلى السرارى والنساء اللواتى أخذهن من أورشليم (صموئيل الثانى) .

فى أخريات أيام داود ، عاد « فحمى غضب الرب على إسرائيل (صموئيل الثانى ٢٤ : ١)

وكان من نتيجة ذلك « أن جعل الرب وباء فى إسرائيل من الصباح إلى الميعاد ، فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع ، سبع وسبعون ألف وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكوا ، فندم الرب عن الشر » (صموئيل الثانى) بعد موت داود ، خلفه إبنه سليمان -عليه السلام- حوالى عام ٩٦٠ ق.م .

وفى السنة الرابعة لحكمه بدأ يبنى بيتا للرب فى أورشليم ، وإستغرق بناؤه فى رواية التوراة ، سبع سنوات ، وبعد ذلك إجتمع شيوخ إسرائيل، وكل رؤساء الأسباط، واصعدوا تابوت عهد الرب إليه ولم يكن فيه -كما تروى التوراة- إلا لوحا الحجر، اللذان وضعهما موسى-عليه السلام- هناك فى حوريب ، حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر (سفر الملوك الأول ٨ : ٩) .

وقد أدخلت التوراة سليمان - عليه السلام - التاريخ ، من باب الحكمة ولكنها مع ذلك لم تعصمه من أن يكون له ألف إمرأة ، سبعمائة منهن من السيدات ، وثلثمائة من المحظيات (الملوك الأول ١١ : ١ - ٣)

وتزوج سليمان - عليه السلام - من بنت فرعون ، إذ تذكر التوراة أن سليمان صاهر فرعون ملك مصر وتزوج إبنته (الملوك الأول)

ولكنه أحب معها نساء غريبات كثيرات، موآبيات وعمونيات وأروميات وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل «لا تدخلوا إليهم ولا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء ألهتهم »

والذى يعنينا من هذا الجانب من حياة سليمان - عليه السلام - كما روتها التوراة ، أن رب إسرائيل كان يخشى منافسة الأرباب الأخرى . فكان

فى طابعه ربا محليا قبليا لا أكثر ، وكانت اليهودية دينا محليا أيضاً لا يتعدى الإسرائيليين ، على نحو ما هو سائد لدى الأقوام الآخرين الذين كانوا يجاورون إسرائيل ويعاصرونهم فى ذاك الحين .

وبنهاية عهد سليمان -عليه السلام- إنتهى أيضاً ما زعمه العبرانيون لتاريخهم ، مبالغين ، من مجد وفكر وحضارة ، وإنقسمت المملكة إلى قسمين: قسم شمالى حول السامرة ، وهو القسم الأكثر ثراء ، وقد إقتطع هذا القسم الأسباط العشرة ، وأطلقوا عليه إسم جدهم الأكبر فأصبح يعرف بمملكة إسرائيل ، وقسم جنوبى يضم أورشليم (القدس) وقد إقتطعه سبطا يهوذا وبنيامين، وإقتصرت ولاية الحكم فيه على سلالة داود وسليمان ، ومن ثم إطلق عليه إسم مملكة يهوذا ، ولم تكن مملكة يهوذا بأحسن حالا ، ولا أمنا ، من مملكة الشمال ، إذ غزاها فرعون مصر «نبخو» وهزم ملكها «هوشع» فى عام ٦٠٨ ق . م .

وأصبحت يهوذا تابعة لمصر ، إلى أن جاء «بنوخذ نصر» الثانى البابلى إذ سقطت يهوذا فى قبضته ، وظلت تحت حكمه ، واقام عليها ثلاثة ملوك من ابنائها كتجربة ، لكن هذه التجربة فشلت ، وبعد محاولة التمرد عليه قام بهدم هيكل سليمان فى سنة ٥٨٦ ومنازل المدينة ، وأعمل السيف فى رقاب الكثيرين ، وأخذ عدداً كبيراً من أبناء البلاد والكهنة سبايا ، إلى بابل ، بل أخذ معه « يهو يا قيم » ملك يهوذا فى ذلك الحين .

يقول نص التوراة : « عليه صعد نبوخذ نصر ملك بابل ، وقيده بالسلاسل النحاس ليذهب به إلى بابل » (أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٦) (١)

ذلك كان الأسر البابلى الشهير الذى يمكن أن نطلق عليه « الشتات الأول »

وإذا كان الفرس بعد أن هزموا «بابل» على يد «كسرى أنو شروان سنة ٥٣٨ ق . م » وإحتلوها ، وممتلكاتها فى فلسطين ، قد سمحوا لليهود

(١) إنظر التراث اليهودى الصهيونى - د . صبرى جرجس .

بالعودة إلى أورشليم بعد نحو نصف قرن من الأسر البابلى ، فإن قلة ضئيلة هى التى عادت ، وتقدر هذه القلة بنحو ٥٠ ألف يهودياً ورغم ذلك لم تجد ترحيباً ، لأن أرض أجدادهم كان يحتلها الآن أسرى «سرجون» الذين وطنوا وعاشوا فيها خلال تلك الفترة ولذلك سكنوا فى منطقة يهودية ، وحتى اليهود المقيمين فى هذه المنطقة لم يرحبوا بالوافدين الجدد .

أما الأغلبية منهم فقد بقيت فى العراق ، حيث كونت مستعمرات ، نمت حتى بلغت فى عهد السيد المسيح - عليه السلام - مليونا أو أكثر فى القرون التالية إبان العصور الإسلامية .

وقد إمتد إنتشار اليهود فى العراق شمالاً إلى كردستان ، غير أن يهود العراق تعرضوا اللإبادة مع بقية السكان ، وذلك تحت ضربات الإعصار المغولى الذى إجتاح البلاد الإسلامية .

وإذا كان الشتات الأول قد إتجه أساساً نحو الشرق ، فمن المحتمل أن بعض اليهود قد إتجهوا إلى شمال أفريقيا وخصوصا المغرب ، وسكنوا الجبال وتكلموا اللغة البربرية ، وزعموا أن أجدادهم تركوا فلسطين إلى المغرب وذلك قبل الشتات البابلى نفسه ، وتسموا بأسمه « البلشتيم »

على كل حال فإن التاريخ يؤكد على أن اليهودية كانت منتشرة بين قبائل البربر وحتى قبل ظهور الإسلام .

أما الشتات الثانى : فهو الشتات الذى عاصر المرحلة الهللينية ، وذلك بعد قرنين من السيادة الفارسية .

وإذا كان بعض اليهود فى فلسطين قد قاوموا الصبغة الهللينية بعنف وقاموا بثورة ضد تذويب شخصيتهم ، فإن الكثيرين منهم قد إنتشروا انتشارا بعيد المدى فى كل العالم الهلليني .

أما الشتات الثالث فى حياة اليهود ، فهو الشتات الرومانى الذى ذهب بهم إلى الغرب الأقصى بالنسبة إلى الوطن الأصلى فلسطين التى كانوا يقيمون فيها لا كشعب وإنما كأقلية تعيش بين سكان البلاد الأصليين .

وقد بدأ هذا الشتات متزامنا مع الفتح الرومانى لفلسطين . الذى يتعاصر إلى حد كبير مع بداية العصر المسيحى .

فلقد تواترت ثورات اليهود الذين لم يعودوا يزيدون على أقلية من سكان فلسطين ، ومع ذلك توالت ثوراتهم على الحكم الرومانى الذى رد على هذه الثورات بتخريب « أورشليم » والهيكل ، وبإبادة جماعية لليهود فى مذبحة عظيمة وذلك سنة ٧٠ ميلادية ، وقد فر منهم عدد إلى مصر وسوريا غير أن بقايا اليهود عادوا إلى الثورة سنة ١٣٥ ميلادية ، حيث قوبلوا بمذبحة نهائية على يد الأمبراطور « هادريان » هذه المذبحة التى ختمت إلى الأبد على مصير اليهود فى فلسطين ، ودمرت أورشليم والهيكل مرة أخرى وبذلك صفيت بقايا اليهود بالإبادة أو بالهجرة متفرقين إلى البلاد المجاورة وغير المجاورة وإهتزت بعنف فكرة القومية وبناء الشخصية وإثبات الوجود التى كان يعمل اليهود من أجلها .

وتحدثنا كتب التاريخ أن عدد القتلى من اليهود فى المعركة الأولى بلغ ١,٣٥٠,٠٠٠ قتيل وأن ٩٠٠,٠٠٠ آخرين أسروا ، أو بيعوا كرقيق ومات مئات الألوف من المجاعات والأوبئة والأمراض والمذابح ، ومن بقى منهم بعد ذلك تكفلت الهجرة القهرية بتصفيته .

فقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائياً ، وطردوهم من فلسطين إلى أنحاء الامبراطورية الرومانية .

ومن هنا إنتهت وإلى الأبد علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا وكان هذا يعتبر الخروج الأخير لهم والذى بلغ عدد اليهود فيه ٤٠ أربعين ألف فقط وهذا يدل على ضآلة ما تبقى من اليهود بعد المذابح المتكررة التى كادت تقضى عليهم نهائياً ، أما ما تبقى بعد ذلك فشراذم ضئيلة أخذت تتناقص تدريجياً بتحول بعض أفرادها إلى المسيحية .

وهناك ملاحظة جديرة بالاعتبار ، وهى أنه حدث تحول جذرى فى الفكر اليهودى ، فبعد المجاذر والإبادة التى تعرضوا لها ، فقد تحول الفرد اليهودى إلى شخصية ذليلة مستضعفة ، ولكنها ماكرة ، تحقق ما تهدف إليه

بالوسائل الناعمة والملتوية ، وبالتذلف والخديعة ، حتى يستطيعوا أن يقفوا على أرجلهم مرة أخرى .

ثم كانت الحروب الصليبية ، التى اشعلت نار الإضطهاد الدينى ضد اليهود فى العصور الوسطى ، وبدأت عمليات الطرد بالجملة ، والإبادة الجماعية التى كان من نتيجتها توزيع اليهود على بلدان أوربا .

وقد أطلق على اليهود بعد هذا الشتات المتكرر ، وكراهية الشعوب لهم لقب « اليهودى التائه » فقد لازمه الشتات قبل الميلاد إلى مطالع القرن العشرين ، فهل إنتهت محنة الشتات هذه ؟ أبداً

لقد قال الله فيهم - وقوله الحق - ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين * ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ....إلخ ﴾ (١)

ولمزيد من الإيضاح نقول : ما إن إستقر اليهود فى أوربا ، وإزداد عددهم ، وتمت قوتهم بعد طردهم من فلسطين ، فى أول عهد المسيحين ، تحقيقاً لنبوءة السيد المسيح - عليه السلام - القائلة : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بالجيوش ، فحينئذ أعلموا أنه قد إقترب خرابها ، حينئذ ، ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى الكور فلا يدخلوها ، لأن هذه أيام إنتقام ، ليتم كل ما هو مكتوب ، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض ، وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ، ويسبون إلى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم ، حتى تكمل أزمنة الأمم » (٢)

وفى عهد الإمبراطور «تيطسى» العاهل الرومانى، تم تشتيت بنى

(١) سورة الإسراء أية ٤ - ٦ .
(٢) لوقا ٢١ : ٢٠ - ٢٤ .

إسرائيل فى ارجاء الإمبراطورية، وما أن إنتشروا أذلاء فى الأرض، حتى أخذوا يطبقون تعاليم التوراة والتلمود، ولكن هذا جلب عليهم سخط أوربا، لأن تصرفاتهم وسلوكهم، كانت تعبر عن الحقد والكراهية والإستعلاء والجشع ونتيجة لذلك، أخذت شعوب أوربا تدافع عن نفسها أمام هذا البلاء الذى كان يحل عليهم مع موجات الهجرة اليهودية، على الرغم من أن جميع شعوب الأرض أعطت اليهود فرصة للعيش بينهم، الا أن اليهود لم يحسنوا الأمر ولم يحفظوا الجميل، ولم يكونوا عند حسن الظن بهم، مما إضطر تلك الشعوب إلى أن تفتك بهؤلاء الجاحدين الخونة، بعد ما تأكد أن بقاءهم يهدد سكان البلاد الأصليين بالدمار الإقتصادى والأخلاقى والإجتماعى والسياسى .

وتنبهت أوربا لهذا الخطر الداهم ، وأدركت أن اليهود يزورون سيرة المسيح - عليه السلام - وديانته ، ويجعلون منه ومن أمه مادة للسخرية والإستهزاء ، ويهدفون إلى القضاء على ما فى نفوس المسيحين من تقديس وإحترام .

وبلغ الفجر مداه عند اليهود ، فأوعز إليهم شيطانهم إلى ضرورة إستبدال كلمة « الله » بكلمة « يَهْوَه » إله اليهود ، ومع أن موسى - عليه السلام - حاول أن يقنع بنى إسرائيل بأنه رسول الله ، وأنه ناجى ربه قائلاً : « ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا لى: ما إسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم ، وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يَهْوَه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم ، هذا إسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فيدور »[1].

فإذا تتبعنا هذا الإسم : « يَهَوَه » نجد أن إبراهيم حين أطاع الله وإمتثل للأمر بتقديم إبنه ذبيحة على جبل المرايا ، إفتدى الله الإبن بكبش .. « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه ، فذهب إبراهيم

(١) سفر التكوين ٢٢ : ١٣ - ١٤ .

وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن إبنه فدعا إبراهيم أسم ذلك الموضع: «يَهْوَه يراه» حتى أنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى »[(١)] ومنذ ذلك الحين أطلق عل هذا المكان «يهوه يراه» .

ولقد إتخذ اليهود من شريعة ذبائح الكفارة والإثم والفداء ، سبيلاً لجرائمهم باستباحة الذبائح البشرية التى يتقرب بها اليهود إلى إلههم «يَهَوَه» ولعلهم يبررون موقفهم هذا بما فعله جلعادى - كما سبق - الذى نذر للرب قائلاً « إن رفعت بنى عمون ليدى ، فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون ، يكون للرب ، وأصعده محرقة ثم أتى يفتاح جلعادى إلى المصفاة . إلى بيته وإذا بأبنته خارجة للقائه فغل بها نذره الذى نذر ، وهى لم تعرف رجلاً » .

ويقول الجنرال جواد رفعت أتيل خان فى مؤلفه المسمى «البرميل الإبرى »

« إن حوادث الدم البشرى ، مفاهيم إنتشرت بين عامة الشعب ، وهى ليست خرافة ، والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود ، يهتم كثيراً بعلوم السحرة والشعوذة ، والتلمود يبحث عن السحر ، والشياطين بغموض كبير، ولهذا فإن الطبيعى أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية، ومن المحتمل أن يكون سحرة اليهود ، قد ذبحوا أطفالاً من غير اليهود ، ليستفيدوا من دمائهم ، وهكذا فإن هذه الحوادث تعتمد على هذا الأساس »[(٣)]

ويقول السيد المسيح - عليه السلام - : « ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم ، إذ تشهدون وترضون ، فى أعمال أبائكم ، لأنهم قتلوهم ، وأنتم تبنون قبورهم ، لذلك أيضاً قالت حكمة الله إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلا، فيقتلون منهم ويطردون ، لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم ، من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أهلك بين

(١) سفر الخروج ٢ : ١٣ - ١٥ .
(٢) سفر القضاة ١١ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ .
(٣) إسرائيل والتلمود للشيخ إبراهيم خليل أحمد - سابقا - القس إبراهيم خليل فيلبسى .

المذبح والبيت ، نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل ويل لكم أيها النامسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم ، والداخلون منعتموهم ... » (1)

فهذا شأن اليهود : الأنانية وكراهية الخير لغيرهم كأنهم ما خلقوا الالكى يكرههم الناس ويكرهون الناس ، ذلك لأن التركيبة النفسية لهذا الشعب تتحكم فى تصرفاته وعلاقاته وتعاملاته مع غيره ، لذلك كانوا سبب قلاقل وإضطرابات فى البلاد التى اكرمت وفادتهم .

وقد رأينا أنهم فى بابل تسببوا فى قتل شخصيات على جانب كبير من الأهمية أو الحيثية مثل «هامان» الذى كان يعتبر ثانى رجل فى المملكة وفى مصر ، تزعم توراتهم أن موسى -عليه السلام- أنبأهم بأن الله أعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل إمرأة من جارتها ، ومن تزيلة أمتعة بيتها فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (2) وعلى ذلك كان الجزاء الثالث : الطرد .

* فى مصر تمكن منفتاح فرعون مصر سنة ١٢١٨ ق . م من طردهم نهائياً من أراضى الدلتا .

* وفى فارس : صرح كورشى ملك فارس بعودتهم إلى بلادهم ، يقول عزرا : «فى السنة الأولى لكورش ملك فارس، عند تمام كلام الدين بفم أرميا . نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى كل مملكته، وبالكتابة أيضاً قائلاً : هكذا قال قودش ملك فارس، جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء، وهو أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا ، من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه، وصعد إلى ورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله إسرائيل ، هو الإله الذى فى أورشليم» (1)

(١) إنجيل لوقا الاصحاح الحادى عشر .
(٢) سفر الخروج ٣ : ٢١ - ٢٢ .
(٣) عزرا أخبار الأيام الثانى ٣٦ : - ٢٢ - ٢٣ .

* في بريطانيا : أصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٩٠م مرسوما يقضى بطرد اليهود من بريطانيا ، وفى غضون ثلاثة أشهر ، غير أنهم فى خبث ودهاء إستطاعوا أن يتسللوا إلى البلاد عن طريق الرشوة التى قدموها إلى كرمويل، وأسسوا أول جمعية يهودية ليهود «الإشكاناز» [1] ثم إندمجوا فى الحياة البريطانية فى فترة الغفلة والتغاضى عن خطط اليهود .

* في فرنسا الغى لويس التاسع ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة والكنائس وأفراد الشعب ، ثم أصدر أمراً ملكياً بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود وطردوا فى عهد الملك فيليب الجميل ، ووقع فيهم القتل حتى أصابهم من ذلك الكثير ، إلا أنهم عادوا إلى البلاد ، غير أنه وفى عام ١٣٤١م ، هاجم الشعب الفرنسى جموع اليهود فى أواسط فرنسا ، وذبحوا منهم أعداداً كثيرة ، وطردوهم وفى خلال الخمسين عاما التالية لم يبق فى فرنسا يهودى واحد .

غير أنهم وفى أثناء الثورة الفرنسية ، إستطاعوا العودة إلى البلاد وقد ساعدهم - ميرابو - ودافع عن حقوقهم فى المساواة بسائر السكان .

* في المانيا : عاش اليهود حياتهم الإنعزالية الإنطوائية، مستعلين على الشعب الألمانى، لا يختلطون بهم، ويعتبرونهم كفاراً ملحدين، على الرغم من إشتهار الشعب الألمانى بالتدين الأصيل، الأمر الذى دعا أدولف هتلر إلى النظر إليهم متوجسا منهم خيفة ، فعمل على إبادتهم، والقضاء عليهم فى فترة حكمه ١٩٣٣ - ١٩٤٥، أسوة بما فعله فرعون مصر الذى أجلاهم عن البلاد، وما فعله بنوخذ نصر يوم أن دمر الهيكل، وبطش بهم وسباهم إلى بابل، كما سبق أن عرفنا، وما فعله الإمبراطور «تيطس» الذى دمر لهم الهيكل أيضاً ، وأحرق أورشليم، وسباهم إلى الإمبراطورية الرومانية .

* في أسبانيا : وصلت موجه البطش باليهود أشدها فى عهد الملك فرديناد وزوجته إيزابيلا ، فأصدر الملك مرسوماً فى ٢١ مارس سنة ١٤٩٢م

(١) اليهود الإشكلنازهم الذين هاجروا إلى شمال شرق آسيا بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ ق . م .

ينص على : « يعيش فى مملكتنا عدد غير قليل من اليهود ، ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ إثنى عشرة سنة وهى تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين ، وبناء على التقارير التى رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت أن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يؤدى إلى ضرر عظيم ويؤدى إلى القضاء على المذهب الكاثوليكى ، ولذا قررنا نفى اليهود ذكورا وإناثا خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد ، وعلى اليهود الذين يعيشون فى بلادنا أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية يوليو من نفس العام ، وعليهم أن لا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو أى سبب » .

* فى ايطاليا : حاربهم البابوات ، وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود .

وفى سنة ١٢٤٢م أعلن البابا جريجورى التاسع إتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن فى المسيح والمسيحية ، وشكل البابا لجنة لفحص الاتهامات ، فأقرت اللجنة التهمة ، وأمرت بحرمة التلمود .

ولم يرتدع اليهود ولم يرعووا ، بل إستمروا فى وقاحتهم وجشعهم ، فثار عليهم الشعب الإيطالى مرات عديدة وفى أماكن مختلفة من البلاد ، وخاصة فى مدينة نابولى التى فتك أهلوها باليهود فتكا ذريعاً ، وطردوا البقية الباقية منهم وذلك فى عام ١٥٤٠ ميلادية .

من هذا نرى أن كل ما وقع لليهود من غزوات وشتات وطرد ، ما هو إلا تحقيق لما سبق أن قلناه من أن هذا قضاء الله فيهم ، وما كان قضاء الله ليتخلف ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

* * *

اوصاف اليهود ودعاواهم

والرد عليها من القرآن الكريم

على مدار التاريخ ، إرتكب اليهود من الخطأ والخطايا ، ما لا يخطر على بال ، ولا يمكن حصره بحال ، ذلك لما جبلوا عليه من الأخلاق الشرسة ، والطباع السيئة ، والنوايا الشريرة ، والطباع القبيحة ، والمسالك الخبيثة التى تدمغهم بالخزى دائماً وأبداً . وقد سجلها عليهم التاريخ ، والتاريخ خير شاهد .

ولكن أدق تعبير واصدق تصوير لحالة اليهود ، هو ما جاء به القرآن الكريم ، فقد صورهم على حقيقتهم ، فى السلوك والتصرفات والأفكار والمشاعر والنوايا والأحاسيس ، حتى دخائل أنفسهم كى لا يكون للناس على الله حجة .

وسوف نورد بعض ما جاء فى القرآن الكريم من ذكر أوصاف اليهود ودعاواهم ، وتجاوزاتهم ، وسوء أدبهم مع الله ، وتطاولهم على الأنبياء وإستعلائهم على الناس ، ونبذ الفضائل ، وعشق الرذائل ، والخروج على قواعد الأخلاق ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وغير ذلك مما حفل به القرآن الكريم .

* الكذب على الله :

قال تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ سورة آل عمران آية ٧٥ .

فالله تعالى يخبر عن اليهود أن منهم الخونة ، ويحذر المؤمنين من الإغترار بهم والوقوع فى حبائلهم ، وأن ما حملهم على جحود الحق ، أنهم

يقولون ليس علينا فى الأميين سبيل ، أى ليس علينا فى ديننا حرج ، فى أكل أموال الأميين ، وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا ، وقد إختلقوا هذه الضلالة وإئتفكوا هذه الأكاذيب لأن الله قد حرم عليهم أكل أموال الناس ، وإنما هم قوم بُهت وأهل مآثم .

* التطاول على الذات العلية :

قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة * غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ المائدة آية ٦٤ .

لقد بلغ الإنحطاط الخلقى مداه عند اليهود ، فقد وصفوا الله تعالى بأنه بخيل ، وعبروا عن هذا البخل بقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : مغلولة أى بخيلة ، وليس موثوقة كما يفهم من المعنى اللغوى ، والسبب أن رجلا من اليهود ، يقال له شاس بن قيس ، قال لابن عباس إن ربك بخيل لا ينفق ، وقد رد الله عليهم وعليه ، قولهم ، وقابلهم بما إختلقوه وإفتروه فقال تعالى : ﴿ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا .. ﴾ وهذا ما وقع لهم ، إذ أن عندهم من البخل والشح والحسد والجبن والذلة ، أمر عظيم مازالو يعرفون به حتى اليوم بين الشعوب .

* نسبة البنوة لله

قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ التوبة ٣٠ .

هذه المقالة الشنيعة التى قالها اليهود تعتبر داهية الدواهى وقاصمة القواصم بالنسبة لليهود .

ذلك أن اليهود والنصارى إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وهذا إنحراف فى العقيدة والقول ، وتأكيد على جهلهم وضلالهم .

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : أتى رسول الله - ﷺ - سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا : كيف نتبعك يا محمد وقد تركت قبلتنا ، وأنت

لا تزعم أن عـزيرا ابن الله ، فـأنزل الله ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ .

قال الإمام البيضاوى « وإنما قالوا ذلك ، لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة ، فلما أحيا الله عزيراً بعد مائة سنة ، أملى عليهم التوراة حفظاً ، فتعجبوا من ذلك ، وقالوا ما هذا ألا لأنه ابن الله » تفسير النيضاوى .

* رابعاً : قول اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه :

تأكيداً للوهم الذى يعيش فيه اليهود ، والضلال الذى يسيرون فيه ، ما زعموه بانهم أبناء الله وأحباؤه ، فقد رد عليهم القرآن فى ذات الآية ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ... ﴾ الآية

أخرج ابن جرير عن إبن عباس - رضى الله عنهما- قال : « أتى رسول الله - ﷺ - نعمان بن أضا وبحرى بن عمرو ، وشاس بن عدى ، فكلموه فكلمهم رسول الله - ﷺ - ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ، نحن أبناء الله وأحباؤه ، فنزلت الآية .

فهل البنوة هنا حقيقية أم مجازية ؟

يرى جمهور المفسرين أن المراد هنا البنوة الحقيقية ، فقد نقل اليهود عن توراتهم أن الله تعالى - قال لعبده إسرائيل : أنت إبنى بكرى ، فحملوا هذا على البنوة الحقيقية ، ولكن عقلاءهم - وقد أسلم منهم عدد غير قليل ردوا عليهم بأن هذا على سبيل التشريف والاكرام .

ثم كان الرد المفحم من الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أى قل لهم يا محمد - لو كنتم حقا كذلك أبناء الله وأحباؤه - كما تزعمون لما عذبكم ، إذ لا يعقل أن يعذب المحبوب حبيبه ، ولكن الواقع خلاف ذلك فقد عذبكم بسبب ذنوبكم بالقتل والأسر والمسخ ، كما أن ذلك مسطور فى كتبكم التى بين أيديكم ، أنكم تعذبون فى الآخرة على ما إقترفتم من آثام

فى دنياكم ، مع أن اليهود مقرون بأن العذاب سيقع بهم، وأن الله سوف يجازى المحسن ويعاقب المسئ .

* **خامساً : قول اليهود :** وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وهذه إحدى مزاعم اليهود ، وواحدة من أوهامهم ؛ وهى قصر دخول الجنة عليهم وعلى النصارى ، فكيف أتفق على أن الإثنين هم أصحاب الجنة ؟

قال الإمام ابن جرير الطبرى : فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى فى هذا الخبر ، مع إختلاف مقالة الفريقين فى الأخر ؟ فإن اليهود تدفع عن أن يكون لها فى ثواب الله نصيب ، والنصارى تدفع اليهود على أن يكون لها فى الثواب نصيب ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه ، إنما المعنى : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، فيكون المراد الإفراد لا الجمع ، لأن اليهود محال أن يساووا النصارى بهم [1] » وقد سبق أن عرفنا رأى التوراة فى المسيح وأمه والمسيحية وأهلها .

* **حبهم لسماع الكذب وأكل السحت :-**

قال تعالى فى حق اليهود :

﴿ سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ﴾ المائدة ٤١

﴿ وقال سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ المائدة ٤٢ .

قال إبن كثير فى تفسيره «ومن الذين هادوا» الآية، أى أعداء الإسلام وأهله، وهؤلاء كلهم «سماعون للكذب» أى مستجيبون له، منفعلون به ويستجيبون لقوم آخرين ، لا يأتون مجلسك يا محمد ، وقيل : المراد أنهم يتسمعون الكلام ، وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٩١ بتصرف .

«يحرفون الكلم من بعد مواضعه» أى يتأولونه على غير تأويله ، ويبدلونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ...

* التمرد على الله ونقضهم المواثيق :

قال تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ... ﴾ المائدة ١٣

قال ابن كثير : أى فبسبب نقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم لعناهم ، أى أبعدناهم عن الحق ، وطردناهم عن الهدى ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أى فلا يتغطون بموعظة لغلظتها وقسوتها ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ أى فسدت أفهامهم ، وساء تصرفهم فى أيات الله ، وتأولوا كتابه على غير ما أنزل ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا عليه ما لم يقل ... وتركوا العمل به ، وغبة عنه ، وقال الحسن : تركوا عرى دينهم ، ووظائف الله تعالى التى لا قبل العمل الأبها ، وقال غيره تركوا العمل فصاروا إلى حلقة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة .

* التمرد على رسل الله – عليهم السلام –

قالت اليهود لموسى -عليه السلام- «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» أى علانية بصرية ، قال ابو جعفر عن الربيع بن أنس هم السبعون الذين إختارهم موسى – عليه السلام – فساروا معه ، قال فسمعوا صوتا فقالوا «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » قال : فسمعوا صوتا فصعقوا ، يقول : ماتوا ، وقال مروان بن الحكم ، فيما خطب به على منبر مكة : الصاعقة : صيحة من السماء ، وقال السدى « فأخذتكم الصاعقة » أى نار ، وقال عروة ابن مريم فى قوله : «وأنتم تنظرون» قال : صعق بعضهم ، وبعض ينظرون، ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء وقالوا لموسى أيضاً «إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» .

مازال القرآن يعرى اليهود ويفضح دخائلهم ويبين خباياهم، ويظهر حقيقة مشاعرهم مع أنبياء الله عامة ومع موسى -عليه السلام- خاصة ،

فهم لم يكونوا أبداً متعاونين أو متجاوبين مع نبى الله - عليه السلام- بل نكلوا عن القتال معه فغضب عليهم وقال داعيا عليهم : ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ المائدة ٢٥ .

قال العوفى عن إبن عباس - رضى الله عنهما - يعنى إقض بينى وبينهم .

قال تعالى : ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾

هذه إجابة دعاء موسى على بنى إسرائيل ، إذ تاهوا فى الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام فى التيه فأصبح نهارهم كليلهم لا تأويهم دار ولا يقر لهم قرار .

* ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ تذكر هذه الآية أن الله أخذ العهود والمواثيق على بنى إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق، وإتبعوا أهواءهم وآراءهم وقدموها على الشرائع الإلهية، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم نبذوه، ذلك أنه عموا عن الحق، وصموا فلا يسمعون رشداً ولا يهتدون إليه، ثم تاب الله عليهم مما كانوا فيه ولكنهم «عموا وصموا كثيراً» وهذا نابع من طبعيتهم المتمردة ونفسيتهم المتقلبة وأخلاقياتهم التى لا تحترم عهداً ولا توفى ميثاقا .

قتلة الأنبياء :

قال تعالى : ﴿ ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله * ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق * ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ البقرة أية ٦١ .

يقول الله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ أى وضعت عليهم وألزموا بها شرعا وقدراً ، أى لا يزالون مستنزلين ، من وجدهم إستذلهم وأهانهم ، وهم مع ذلك فى أنفسهم اذلاء مستكينون .

﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ... ﴾

قال ابن كثير في تفسيره : يقول الله تعالى : هذا الذى جازيناهم من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب إستكبارهم عن إتباع الحق ، وكفرهم بآيات الله ، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم ، فلا كفر أعظم من هذا ، إنهم كفروا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ...

عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : كانت بنوا إسرائيل فى اليوم تقتل ثلثمائة نبى ، ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار » وعنه رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبى أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة وممثل من الممثلين » ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

وهذه علة أخرى فى مجازاتهم . بما جوزوا به ، إنهم كانوا يعصون ، ويعتدون فالعصيان فعل المناهى - أى المنهى عنه شرعا - والإعتداء هو المجاوزة فى حد المأذون فيه والمأمور به » والله أعلم . تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٦٠ ، ١٦١ .

* قسوة القلب :

قال تعالى : مخاطباً اليهود : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ البقرة أية ٧٤ .

يقول الله تعالى - توبيخا لبنى إسرائيل وتقريعا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى - وإحيائه الموتى : بأن قلوبهم كالحجارة التى لا تلين أبداً ... مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة ... فهى فى قسوتها كالحجارة التى لا علاج لقسوتها . أو أشد قسوة من الحجارة فإن من الحجارة ما تتفجر منه العيون بالأنهار المائية ، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء الجارى ، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله ، وفيه إدراك لذلك .

فأية قسوة أبلغ من تشبيه اليهود بالحجارة الصماء ، إنه تصوير قرآني بليغ يوضح حقيقة مشاعر اليهود وأحاسيسهم .

* الجدل والمراء :

قال الله تعالى على لسان اليهود : ﴿ أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ و ﴿ إدع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾ .

أ- لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكا منهم، عين لهم طالوت ملكا. وكان طالوت من أجنادهم، ولم يكن من بيت الملك فيهم، لأن الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من ذلك السبط، فلهذا قالوا: «أنى يكون له الملك علينا» أي كيف يكون ملكا علينا، «ونحن أحق بالملك منه» أي هو -طالوت- فقير لا مال له يقوم بالملك، وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء، وقيل : دباغ، وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت . وكان الأولى بهم الطاعة، وقول المعروف .

إنها روح التمرد والعصيان المركوزة في نفسية اليهود .

ب- أما المراء فقد شغل جزءاً كبيراً من طريقة اليهود وأسلوبهم وحججهم، وهذا واضح في تعنتهم وكثرة سؤالهم عن «البقرة» ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم ، لأنهم لو ذبحوا أي بقرة إمتثالاً لأمر الله لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس، وعبيدة، وغيرهما؛ ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، من ذلك أنهم قالوا : ﴿ إدع لنا ربك يبين لنا ما هي ... ﴾ أي ما هذه البقرة، وأي شئ صفتها ؟ قال ابن جرير مسنداً : لو أخذوا أدنى بقرة لأكتفوا بها ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، وروى هذا أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ابن جريج : قال رسول الله ﷺ «إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم ، وأيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد » .

* كتمان الحق والتضليل :

قال تعالى مخاطباً اليهود :

﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾

يقول الله تعالى : ناهيا اليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل وتمويهه وكتمانهم الحق واظهارهم الباطل : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ الأية ، فنهاهم عن الشيئين معاً ، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به ، ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما : ولا تلبسوا الحق بالباطل : لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وقال أبو العالية : ولا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد - ﷺ - وقال قتادة فى تفسير له ، ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وأنتم تعلمون أن دين الله هو الإسلام .

وعن ابن عباس : « وأنتم تعلمون » أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وانتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم .

* يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم :

قال تعالى : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة أية ٤٤ .

يقول الله تعالى لليهود : كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير ، أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون به الناس وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وهو التوراة المنزلة وتعملون ما فيه ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم ، وتتبصروا من عمايتكم ، وعن قتادة رضى الله عنه قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر، ويخالفون، فعيرهم الله -عز وجل - بما يفعلون .

* حب الإفساد بين الناس :

﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً ﴾ المائدة :٦٤ . أي كلما عقدوا أسبابا يكيدون بها للمسلمين وكلما أبرمو أمورا يحاربونهم بها أبطلها الله ، ورد كيدهم في نحورهم ، وحاق مكرهم السيئ بهم .

وأن من سجية اليهود أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب المفسدين ويكره من يتصفون بها وينزل عليهم لعناته إلى يوم الدين.

* حب الشر لغيرهم :

قال تعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾

يخبر الله تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وتمني الشر لهم ورؤيتهم لهم يسبحون في بحر الضلال ويحيدون عن الحق ، إنها أمنية أزلية لدى اليهود، يودون لو تحيق بالمسلمين فلا يهتدون سبيلا .

* المسارعة في الإثم والعدوان :

قال تعالى : ﴿ ترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾ المائدة ٦٢ .

أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والإعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل ، لبئس ما كانوا يعملون ، أي بئس الإعتداء إعتداؤهم .

* التهكم على القرآن والإستهزاء بتعاليم الإسلام :

أورد القرآن الكريم كثيراً من النصوص التي تقطع بأن اليهود كانوا يتهكمون على القران الكريم ويستهزئون بتعاليم الإسلام .

جاء في سورة آل عمران الأيتان ١٨١ ، ١٨٢ قول الله تعالى :

﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ .

روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال : لما نزل قول الله تعالى ﴿ من ذا الذى يقرض الله ... الآية ﴾ قالت اليهود : يا محمد : إفتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله هذه الأية . تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٣ .

وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال : دخل أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - بيت المدْراس ، فوجد من اليهود ناسا كثيرين ، قد إجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص . إتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما لنا إلى الله من حاجة وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وأننا عنه لأغنياء، ولو كان غنيا ، ما إستقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر -رضى الله عنه- وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ،

فذهب فنحاص إلي النبى - ﷺ - فقال : يا محمد ، إنظر ما صنع صاحبك ، فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - لأبى بكر ، ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ؟ فقال : يا رسول الله ، إنه عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه، فجحد فنحاص ذلك، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى- فيما قال فنحاص : ﴿ لقد سمع الله قول الذين .... ﴾ الآيات . (١)

وروى عن قتادة أنه قال فى معنى هذه الأية ، أنها نزلت فى حى بن

(١) أسباب النزول للنيسابورى ص ٧٦ .

أخطب فإنه لما نزل قول الله : ﴿ من ذا الذى يقرض الله .. ﴾ قال حى بن أخطب يستقرضنا ربكم ، وإنما يستقرض الفقر الغنى .

فهذه النصوص تقطع بأن اليهود كانوا يتهكمون على القران ، مع أن الآية تحض على البذل والعطاء ومد يد المساعدة للفقراء والمحتاجين ، ولكن اليهود لم يذهبوا هذا المذهب لأنه ضد طبيعتهم وطباعهم ، بل أنهم يحاولون تحريض المؤمنين على الإمساك والشح وعدم الإنفاق لأنه إتلاف للمال وضياع له فى غير طائل، وليس هذا القول غريباً منهم ، فهم دائماً عصاة متمردون .

وقد قرن الله سبحانه - قولهم هذا بما هو أشنع ، وهو قتلهم الأنبياء بغير حق، وهذا تأكيد لعنصر الشر فيهم وتمكنه من نفوسهم ، فقد سبق لأسلافهم أن قتلوا الأنبياء حتى سموا على مدار التاريخ بقتلة الأنبياء .

فقد قتل اليهود من الأنبياء : (أشعياء بن آموص) الذى عاش فى منتصف القرن الثامن ق . م ، قتله (منسى) ملك اليهود ، بأن نشره نشرا على جذع شجرة عام سبعمائة ق . م ، لأنه كان ينصحه بترك السيئات ،

وقتلوا النبى (أرميا) رميا بالحجارة ، لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم ، وكان ذلك فى أواسط القرن السابع ق . م ،

وقتلوا النبى (زكريا) عليه السلام - لأنه حاول الدفاع عن إبنه يحيى قتله (هيرودوس) العبرانى ملك اليهود من قبل الرومان .

وقتلوا النبى (يحيى) ابن زكريا -عليهما السلام- قتله (هيرودوس) أيضاً لأن إبنة أخته غضبت على (يحيى) لأنه لم يصدر الفتوى التى تهواها ، وهى زواجها من (هيرودوس) .

وقتلوا النبى (حزقيال) قتله قاض من قضاتهم ، لأنه نهاه عن منكرات فعلها .

وزعموا أنهم قتلوا (عيسى) عليه السلام - وإفتخروا بذلك ، ولكن القرآن كذبهم فى ذلك، ووبخهم توبيخاً شديداً ، وذلك فى قول الله تعالى .. ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ .

كذلك حاولوا قتل النبى - ﷺ - ولكن الله الذى قال له : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ خيب مسعاهم ورد كيدهم فى نحورهم وحفظه من شرورهم ، حتى بلغ الرسالة التى كلف بها من ربه ، وانتشر نور الإسلام فى الأرض ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

كراهيتهم للقرآن الكريم خاصة والكتب السماوية عامة :

قرر القرآن الكريم فى أكثر من أية أن اليهود إمتدت إيديهم الآثمة إلى الكتب السماوية تعبث بها ، ومنها التوراة ، كتابهم الذى أنزل على موسى -عليه السلام- وقد ثبت هذا بالنسبة لهم سابقاً ولاحقا ، إذ تناولوا كتابهم المقدس بالتحريف والحذف والتعديل ، وأخفوا منه ما لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم ، حتى أن الناظر فى اسفارها يجد فيها من التناقص والتضاب والإفتراء والإنحراف عن الحق ومجانية الصواب ، وإخضاع كل شئ فيها إلى تفسيراتهم الشخصية ، ما يجعل الناظر فيها لأول وهلة يتأكد أنها يستحيل أن تكون كتابا مقدساً ، إذ أن معظم ما جاء فيها ينفى عنها صفة القداسة والإحترام بالمرة ، وليس لأى إنسان شريف أن ينتسب إليها أبداً ، إذ أن ما فيها يعد أكثر إثارة من الكتب التى يتداولها المراهقون سراً ، وقد توعدهم القرآن وعيدا شديداً .

قال تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ .

* إستحلالهم ما حرم الله :

قلب الحقائق والباس الباطل ثوب الحق ، والباس الحق ثوب الباطل ، وتطويع النصوص بما يخدم أغراض اليهود ، مذهب اساسى فى حياتهم ، من ذلك أنهم تجاوزوا حدود الله فى اليوم الذى يعظمونه ، وهو يوم السبت ، ذلك أن الأسماك ، أو الحيتان كما يسميهم القرآن الكريم ، كانت تكثر فى ذلك اليوم فتحايلوا حتى يخرجوا من تبعة هذا اليوم المقدس ، إذ حفروا حياضا

إلى جانب البحر ، فكانت المياه تنساب إلى تلك الحياض في يوم السبت بما تحمله من الأسماك أو الحيتان الكثيرة ، فإذا أرادت الرجوع إلى البحر لا تستطيع.

لضآلة المياه التى بالحياض، فتبقى فيها إلى أن يصطادوها بعد إنقضاء يوم السبت المقدس، وقد نهاهم الواعظون عن ذلك الفعل، ولكنهم لم ينتهوا، وإستمروا فى تحايلهم هذا ، وإستكبروا ورفضوا ما قدم إليهم من النصائح، وعند ذلك مسخهم الله مسخا خلقياً ونفسياً ، فصاروا كالقردة فى تحايلها وشرورها وإفسادها لكل ما تصل إليه، أى أنهم إنتكسوا إلى عالم الحيوان لتخليهم عن خصائص الإنسان، فكانوا حيث أرادوا لأنفسهم -الصغار- والهوان فهانوا على الناس حتى أصبح كل من على الأرض يلعنهم .

* تنصلهم من الحق وإنكاره :

هذه الرذيلة أصبحت لاصقة باليهود ، بسبب الأنانية المفرطة التى تغلغلت فى نفوسهم، فى نطاق من التعصب الذميم، والعنصرية المقيتة، فجعلتهم يحرصون على إحتجاز الخيرات لأنفسهم دون سائر الناس، فقد كذبوا كذبة وصدقوها ، وهى أنهم «ابناء الله وأحباؤه» أو، هم «شعب الله المختار» وهذه الفرية تبيح لهم بأن كل خير يصيب غيرهم من الأمم، فكأنما إقتطع منهم لذلك فهم دائماً يتميزون من الغيظ إذا ما رأوا نعمة تساق لغير ابناء ملتهم ، من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بئسما إشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله علي من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾ سورة البقرة ٩٠ .

فالمراد بالكتاب في الآية الكريمة « القرآن الكريم » فبدلا من أن يتلقوه بالقبول وحسن الطاعة سيما وأنه جاء مصدقا لما بين أيديهم - لأنه صادر عن الله تعالى - فهو موافق لها فى أصول الدين وبالذات فيما يختص ببعثة

النبى محمد - ﷺ - وصفته . ولكنهم غضبوا وتمردوا وعصوا، مع أن هؤلاء اليهود كانوا يستنصرون بالنبى - ﷺ - قبل البعثة ، على اعدائهم، إذ ثبت أنهم كانوا يقولون : « اللهم إنصرنا عليهم بالنبى الذى نجد نعته فى التوراة فينصرهم الله، فلما جاءهم هذا النبى، كفروا به غيظا وحقداً وحسداً، وأخذت هذه الصفات الذميمة تغلى فى نفوسهم حتى وصلت بهم إلى حالة الرفض التام للنبى ورسالته، وذلك بسبب أنانيتهم البغيضة التى حملتهم على أن يحسدوا الأميين العرب على ما آتاهم الله من فضله بجعل النبوة الخاتمة فيهم ، لذلك فهم أعداء الأمس واليوم وغد ، لأن الله إنتزع النبوة من أليهودية ذرية إسحاق وجعلها فى ذرية إسماعيل - عليه السلام - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا .

* تحريف الكلم عن مواضعه :

هذه أكبر رذائل اليهود ، إذ أخذ أحبار اليهود وحاخاماتهم يقومون بتحريف الوحى والشريعة عن مواضعها ، وحملها على غير وجهها الصحيح بالتغيير والتبديل فى الألفاظ أو الكتمان، والتأمل الفاسد، والتفسير الباطل، وذلك لقسوة قلوبهم « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك » وانطماس بصيرتهم وبيعهم الدين بالقليل من حطام الدنيا بقصد وسوء نية ، ثم يأتى عامتهم فيصدقونهم ويقلدونهم دون أن يلتفتوا إلى نصيب ذلك من الحق ، أو يهتموا بموضع الصواب وما ذلك إلا لأنهم تلقوا « دينهم » عن قوم ضالين مضلين ، أعداء للحقيقة ، قد حكى القرآن ذلك عنهم . قال تعالى : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون ﴾

* أشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم - عبادة العجل

فإن اليهود لما مردوا على عصيان الله تعالى- وإبتعدوا عن الحق الذى أنزله على موسى -عليه السلام- خالط حب العجل وعبادته نفوسهم وقلوبهم.

فقد شغف اليهود بالعجل ، وادى هذا إلى تقديسهم له ، حتى أنه كان

لا يخلو معبد ملكى من وجوده فيه ، أو على الأقل وجود صورته ، وقد أشار إلى ذلك الكتاب المقدس عندهم ، إذ جاء فى سفر الملوك الأول : (وبنى بديعام شكيم فى جبل إفرايم وسكن بها ... فاستشار الملك وعمل عجلين من الذهب وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم ، هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ووضع واحداً فى بيت أيل ، وجعل الآخر فى دان ، وكان هذا الأمر خطية ، وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان وفى أورشليم ، كان معبد اليهود ، حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا ، كان يشتمل على حية معدنية ، تعرف باسم «نحشتان» وهى تمثل عندهم الإله ، وترمز إليه ، وكان خادم المعبد يبخرها ، ويزعمون أنها ترجع إلى عهد موسى - عليه السلام .

وأنه هو الذى صنعها لهم ، وقد أشار إلى ذلك سفر الملوك الثانى في قوله : « وفى السنة الثالثة لهوشع بن آيلة ملك إسرائيل ، ملك حزقيا ابن آحاز ملك يهوذا ... وعمل المستقيم فى عينى الرب ، حسب كل ما عمل داود أبوه هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى ، وسحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها : نحشتان » .

وكان اليهود يقدسون أيضاً صوراً ترمز إلى الإله، وتعرف بأسم (ترافيم) يزعمون أن بيت النبى داود - عليه السلام - كان عامراً بها ، وقد ورد ما يشير إلى ذلك فى سفر صموئيل الأول : « وكان الروح الردى من قبل الرب على شاول وهو جالس فى بيته ، ورمحه بيده ، وكان داود يضرب باليد ، فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح، حتى إلى الحائط ففر من أمام شاول .. فأرسل شاول رسلا إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه ، فى الصباح ، فأخبرت داود ميكال إمرأته فأنزلت من الكوة ، فذهب هاربا ونجا ، فأخذت ميكال ، الترافيم ، ووضعته فى الفراش ، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بالثوب ، وأرسل شاول ، رسلا لأخذ داود ، فجاء الرسل، فقالت : هو مريض،

ثم أرسل شاول الرسل ليروا داود ، فجاء الرسل وإذا فى الفراش ، الترافيم ، ولبدة المعزى تحت رأسه فهرب داود ونجا » .

وقدسوا النار ، وبنوا المرتفعات التى فى وادى ابن هتوم ، ليجيزوا أبناءهم وبناتهم فى النار لمولك الذى كان من أوثان الفينيقيين ، جاء فى سفر أرميا : « بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه، وبنوا المرتفعات للبعل التى فى وادى ابن هتوم ، ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار ... »

ومع ذلك فإن اليهود يدعون بفخر أنهم هم الذين أبتدعوا فكرة التوحيد ، أى الإله الواحد ، لكن طريقتهم فى تثبيت هذه الفكرة يدحضها ما جاء فى التوراة نفسها ، إذ لم يرد فيها ذكر للإله الواحد إلا من خلال إله مسيطر على الالهة الأخرى ، ومحطم لها ، فالوصية الأولى لا تشير إلى إله واحد كونى أو أزلى بل تشير صراحة إلى إله إسرائيل وحدها ، والذى يجب على اليهود عبادته دون غيره من الألهة .

جاء فى سفر الخروج ٢ : ٢ - ٣ وكذلك فى سفر التثنية ٥ : ٦ - ٧ .

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » أما هذه الألهة الأخرى فقد جاء ذكرها باستمرار فى العهد القديم ، فقد تغنى موس - عليه السلام - قائلاً : « من مثلك بين الآلهة يارب ، من مثلك معتزا فى القداسة ، ومخوفا بالتسابيح ، صانعاً عجائب » (خروج ١٥ : ١١) .

وترنم آساف : قائلاً الله قائم فى مجمع الله ، فى وسط الآلهة يقضى » مزمور ٨٢ : ١ .

وترنم إيتان الازراحى قائلاً : « لأنه من فى السماء يعادل الرب ، من يشبه الرب بين أبناء الله إله مهوب جداً فى مؤامرة القديسين ، ومخوف عند جميع الذين حوله » مزمور ٨٩ : ٦ ، ٧ .

وقال الله -تعالى- الله عن ذلك علوا كبير لموسى- عليه السلام - .

« هكذا تقول لبنى إسرائيل « يَهْوَه » إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق ، وإله يعقوب ، أرسلنى إليكم هذا إسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فيدور » (خروج ٣ : ١٥) .

أما هذه الألهة الأخرى فقد جاء ذكرها باستمرار فى العهد القديم كما سبق أن قلنا .

وقد أضاف الفريسيون فكرة جديدة تضاف إلى فكرة الرب القبلى السامى لدى اليهود ، وهى أن « يهوه » سيقوم على تحطيم الألهة الأخرى جميعها ، ويحكم الأرض وحده دون غيره من الآلة ، إذ يكون قد إنتصر عليها ، وذلك بواسطة شعبه المختار ، « الرب مخيف إليهم ، لأنه يهزل جميع الآلهة على الأرض فيسجد له الناس ، كل واحد من مكانه كل جزائر الأمم » نبوءة صفنيا ٢ : ١١ .

فأين هى فكرة التوحيد المزعومة فى التوراة ، وهل اليهود مازلوا يظنون أنهم أمة توحيد ، وأنه لا يوجد شعب وحد الله كما وحده اليهود ، إن هذا كذب وبهتان وإستخفاف بالعقول وبجاحة منقطعة النظير ، لأن التوراة التى بشرت بالله الواحد فقالت : « الرب هو الله وليس آخر سواه » (سفر التثنية) و «الرب هو الله وليس آخر» (سفر الملوك الأول) هى نفسها التوراة التى قالت عن اليهود عند إسقبالهم لهم للبشارة بالتوحيد الإلهى : «أيها العصاة إذكروا إنى أنا الله وليس آخر» (أشعيا ٤٦) «أغارونى بما ليس إلها ، أغاظونى بأباطيلهم » (التثنية)

« بمن تشبهوننى وتمثلوننى لنتشابه . إذكروا هذا ، وكونوا رجالا ، رددوه فى قلوبكم أيها العصاة » (أشعياء) .

ونختم هذا الفصل بما جاء فى سفر العدد : « وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقوننى ، بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم » وقال الرب لموسى : « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن إتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم »

(سفر الخروج ٣٢ : ١ ، ١٠) ، « وكلم الرب موسى وهارون قائلاً : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىَّ فى هذا القفر تسقط جثثكم ، لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علىَّ فى هذا القفر يغنون وفيه يموتون » (سفر العدد ١٤ : ٢٦ - ٣٥) ، « الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ، ذبحوا لأوثان ليست لله . إنهم أولاد لا أمانة لهم . أغاظونى بأباطيلهم ، قد إشتعلت نار غضبى ، سأجمع عليهم الشرور ، وأنفذ سهامى فيهم وأرسل فيهم أنياب الوحش ، وأبددهم إلى الزوايا ، وأبطل من الناس ذكرهم إنهم أمة عديمة الرأى ، ولا بصيرة فيهم ، يوم هلاكهم قريب » التثنية ٣٢ : « وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليغنيكم ويهلككم ، فتستأصلون من الأرض ، ويبددكم الرب فى جميع الشعوب ، من أقصى الأرض إلى أقصاها ، لا تطمئنون ، ولا يكون لأقدامكم إستقرار وترتعبون ليلا ونهاراً ، ولا تأمنون على حياتكم ، ويردكم الله إلى مصر فتباعون هناك لاعدائكم عبيداً وإماء »
(التثنية ٢٨ : ٢٨ - ٦٨) .

***

النصوص تتحدث

كتابهم يدينهم

فى أخريات أيام « يعقوب » عليه السلام - جمع بنيه حوله وقال لهم : ﴿ ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله أبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون ﴾ البقرة ١٣٣ .

وهذه العقيدة كانت قائمة فى بيت النبوة من لدن آدم - عليه السلام - إلي محمد - ﷺ - فقد كانت فى يعقوب كما كانت فى يوسف والأسباط ، فأنبياء بنى إسرائيل أجمعين ، حتى إذا بعث موسى - عليه السلام - أكد هذه العقيدة فى بنى إسرائيل بمختلف الأساليب وشتى الطرق ، وإستعمل في ذلك أقصى ما يستطيع من الإقناع لقوم قلوبهم غلف ، ولكنه منفذ لأمر الله تعالى .

والعهد القديم - المتداول بأيدى القوم ، يقرر وحدانية الله فى غير لبس ولا غموض ، إذ جاء فيه :

« أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتا ولا صورة ما ، مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك » (سفر الخروج ٢٠ - ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) «لا تسجد لإله آخر» خروج ٣٤ - ١٤ .

« أنا الرب إلهكم لا تلتفتوا إلى الأوثان ، وآلهة مسبوكة ، لا تصنعوا لأنفسكم أنا الرب الهكم » سفر اللاويين ١٩ - ٣ ، ٤ .

فهل من شك بعد ذلك فى تقرير الوحدانية لله؟ ومع ذلك أشركوا بالله مع أن الوحدانية قررت فى أجلى بيان، وقطعت سبل الشرك، فلم تترك عذراً إليه، فقد كان الخطاب الوارد فى العهد القديم، مما توارثه القوم، مناسباً لعقليتهم فى بسط الإرشاد والتبصير بالمرلق، لمنع الشرك وطرق الضلال .

فهل أعطى اليهود للتوحيد حقه ؟ وهل كانوا حقا أمة موحدة ؟ .

إن جماعة بنى إسرائيل التى صحبت موسى - عليه السلام - وهو خارج من مصر .

بلغ تعدادها ستمائة ألف من الرجال ، عدا الأولاد . كما جاء فى العهد القديم .

وهذه الجماعة الضخمة يقرر القرآن الكريم فسقها وخروجها على مبادئ الأخلاق عدا رجلين ، غير موسى وهارون ، أشار إلهما ، حين عصا القوم أمر موسى بدخول الأرض المقدسة [1] ، قال تعالى : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما إدخلوا عليهم الباب ... ﴾ الآية . وذكر العهد القديم إسم الرجلين وهما : يوشع بن نون ، وكالب بن يفنة » العهد القديم / يشوع ١٤ - ٦ .

وجاء فى سفر الخروج : « وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم » .

« وكلم الرب موسى وهارون قائلاً : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ فى هذا القفر تسقط جثثكم لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علىّ ، فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » العدد ١٤ - ٢٦ « الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكم ذبحوا الأوثان ليست لله إنهم أولاد لا أمانة لهم ، أغاظونى بأباطيلهم ، وقد إشتعلت نار غضبى عليهم ، سأجمع عليهم الشرور ، وأنفذ سهامى فيهم وأرسل فيهم أنياب الوحش وأبددهم إلى الزوايا ، وأبطل من الناس ذكرهم انهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم .. » التثنية ٣٢ .

كذلك فإن التوراة التى بشرت بالله الواحد الأحد حيث جاء فيها « الرب هو الله وليس آخر سواه » التثنية و «الرب هو الله وليس آخر» الملوك الأول .

(١) قال الشيخ أبو زهرة رحمة الله - فى معنى هذه الأية : « هو إذن بالدخول وليس إذنا بالتملك » المؤتمر السادس لعلماء المسلمين .

هى نفسها التوراة التى قالت عن اليهود حين إستقبالهم للبشارة بالتوحيد الإلهى : « أيها العصاة إذكروا أنى أنا الله وليس آخر .. » أشعيا ٤٦ « أذكروا هذا وكونوا رجالا ، رددوه فى قلوبكم أيها العصاة ، إذكروا الأوليات منذ القدم لأنى أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى ، فخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القدم .... » أشعيا .

« إسمعوا لى يا أشداء القلوب ، البعيدين عن البر ، قد قربت برى لا يبعد ، وخلاص لا يتأجر وأجعل فى صهيون خلاصا لإسرائيل جلالى »

« إسمعوا هذا يا بيت يعقوب المدعوين بإسم إسرائيل ، الذين خرجوا من مياه يهوذا الحالفين بإسم الرب ، والذين يذكرون إله إسرائيل ليس بالصدق ولا بالحق ... فأنت لمعرفتى أنك قاس وعضل من حديد عنقك وجبهتك نحاس ... » أشعيا ٤٧ .

« إسمع لى يا يعقوب وإسرائيل الذى دعوته : أنا هو ، أنا الأول ، وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض وبيمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معا ... » .

هذه نصوص توراتية تقطع بواحدانية الله ، فهل إنصاع اليهود لهذه الواحدانة وآمنوا بها ؟ أبداً ، فقد نكثوا العهد وكفروا بالله ونعمه عليهم ، فعبدوا ما لم يخطر على بال .

عبدوا الأصنام والأوثان ، وآلهة الأشورين والبابلين ... والكلدانيين والمصريين والحيثيين والكنعانين والموآبين والأموريين ، والفلسطينيين والهمونيين والفرزين واليبوسيين ، والعقرونيين ، وعبدوا آلهة كوث دعوا وحماة وسفروايم ، وبنى سعير .

ولما خضعوا لليونان والرومان عبدوا آلهتهم ، حتى قال فيهم أرميا النبى : « بعد موتك صارتك آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ، مذابح للتفخير للبعل » أرميا ١١ وعبد اليهود ، تموز إله الأرض ، وكانت عبادته عند السامين عموما حتى أطلقوا إسمه على الشهر

الرابع من السنة ، وكانت تتركب فى معابدة طقوس داعرة وتقام فيها حفلات ماجنة يستباح فيها كل شئ وكانت تبكيه النساء كل عام ، كما عبدوا عشتاروت زوجة تموز واخته فى نفس الوقت . وكانت عبادتها تتضمن طقوسا ماجنة وأفعالا فاضحة وكاهناتها كن داعرات عاهرات ، وعبدوا الإله بعل ، حتى بلغ الداعون لعبادته من أنبياء اليهود زمن الملك بريعام أربعمائة وخمسين وإعتقدوا فيه أنه إله الشمس ، وكانوا يضحون له ويرقصون حوله حتى إذا زاد تهيجهم وغلت الدماء فى عروقهم وأصبحوا فى حالة توهان كلى ، طعنوا أنفسهم بالسيوف والرماح حتى تتفجر الدماء من أجسادهم .

وفى عام ٦٧٨ ق . م ، فى عصر الملك يهوذا المسمى « منسى » بلغ الفساد ذروته فكان قول الله إلى المتكلين على هيكل سليمان المعتزين بأنفسهم أنهم شعب الله وابناؤه وأحباؤه .

« وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار آخاب ، وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ويقلبه على وجهه ، وارفض باقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع أعدائهم لأنهم عملوا الشر فى عينى ، وصاروا يغيظوننى ، من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر إلى هذا اليوم » الملوك الثان ٢١ : ١٣ - ١٥ .

ويأتى الإصحاح السادس عشر فيتنبأ بمولد إسماعيل - عليه السلام ، ثم يأتى الإصحاح التالى فيبشر بإسحاق ، ثم يستمر التركيز على إسحاق ويعقوب ، وكيف أن العهد الإلهى الأبدى سيكون مع إسحق ، إنه تشكيل للتاريخ ، ولوى الحقائق والتفسير الشخصى للأحداث التى داب عليها بنو إسرائيل .

لقد كثر الكلام حول إسحاق ويعقوب من قديم الزمان، وكيف أن إسحاق انتزع البكورية من أخيه «عيسو» ويصبح التركيز منصبا على يعقوب ولا يشير الإصحاح ولو بكلمة واحدة إلى رحلة إبراهيم - عليه السلام - وإسماعيل - عليه السلام - إلى الحجاز وبنائهما للبيت المعمور، ووصل قلب الحقائق إلى الحد الذى يغمط حق إسماعيل ، ويصور المستقبل المزهر المشرق

الواعد فى إنتظار إسحاق، دون أخيه إسماعيل . ولا شك أنه تميز مكشوف، وتحايل واضح على حقائق التاريخ .

إذ نقرأ فى التوراة ، طلبا لإبراهيم ، أن يعيش إبنه إسماعيل ليكون إمتداداً لحياته ، إلا أن نفس التوراة تفاجئنا بالبشارة بإسحاق هذا الذى سيحمل الرسالة ، ومن بعده ذريته إلى الأبد . حتى يكون اليهود أولى بالشرف من غيرهم .

تقول التوراة : « ذات يوم قال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : بل سارة إمرأتك تلد لك إبنا إسمه إسحاق وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » .

وهذا جريا على طبيعة اليهود ، من تعمد كتمان كل فضيلة لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالعرب ، وطمس كل معنى من شأنه أن يثبت لهم فى التاريخ ذكراً أو مجداً أو سبقا يحسب لهم ، إذ يحاربون هذا بشتى الوسائل لينفردوا هم وحدهم بكل سؤدد ، ويكون لهم قصب السبق فى كل شئ ويظلون وحدهم على مسرح الحياة حتى يخطفوا الأضواء كشعب مختار (بزعمهم) ، تسيل فى عروقه دماء من لون خاص ، ولكنها من غير شك ليست مثل دماء بقية خلق الله ، وهذه محاولة مجرمة من قوم أيديهم ملطخة بالدماء ، فلا أقل من أن تكون قلوبهم ملوثة بالخسة والجبن ، والنذالة والسفالة ، لإطفاء كل بريق للحق يكشف الطريق إلى حقائق الأشياء كما خلقها الله - عز وجل - .

وقد فعلها واحد منهم يدعى «فنسك» وهو مستشرق يهودى قاد حملة لتضليل الرأى العام ضد خاتم الأنبياء - محمد - ﷺ - وكان من مظاهر تضليله ، ما أدعاه من أن محمداً ظل بعيداً عن ذكر صلة العرب بإبراهيم وإسماعيل إلى أن هاجر إلى المدينة - ويزعم أن الآيات القرآنية المكية لم تذكر أية صلة لإسماعيل بإبراهيم، وهذا تعمد لإخفاء الحقائق وطمس المعالم، إذ أن الآيات القرآنية نزلت مؤكدة على هذه الصلة . وقد تعمد هذا المستشرق إغفال هذه الآيات القرآنية لأنها تنسف ما إدعاه نسفاً ، وتصفعه بحقيقتها

صفعا ، وتخرس لسانه على أن يهف بما لا يعرف ، وهو الزعم بأن القرآن من عند محمد وليس من عند الله ، ولذلك سكتت مصادر اليهود عن حالة العرب الدينية كل السكوت » .

وهذه المصادر ترجع فى معظمها إلى القرن السابع قبل الميلاد .

وقد تعمدت هذه المصادر أن تخرج أبناء إسماعيل من حق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من الله - كما سبق أن قلنا - ، وقالت : إن هذا الوعد إنما هو حق لأبناء إبراهيم من سلالة إسحق ، ولكن هذا الكلام المرسل هل يغطى على الحقيقة الناصعة ؟!!

إن إنتساب العرب إذن إلى إسماعيل قد كان تاريخاً مقرراً لا سبيل إلى إنكاره عند كتابة المصادر اليهودية التى حصرت النعمة الموعودة فى أبناء إسحق . (١)

لقد كان خطر المنافسة فى النسب ، وخطر المنافسة فى العقيدة ، كما يقول الأستاذ العقاد ، هو الذى ألجأ كهان وأحبار اليهود إلى حصر النعمة الموعودة فى أبناء إسحق دون أبناء إبراهيم .، وهو الذى يلجئ اليهود على المستوى الشعبى أيضاً إلى الإسهام فى حملة التضليل هذه .

ولا شك أن هذا السلوك من بنى إسرائيل هو ثمرة تعاليم توراتهم وهو بالتالى انعكاس طبيعى للنزعة الإستعلائية التفردية التى يتمتعون بها على مر التاريخ قديماً وحديثاً .

ومن يطالع التوراة يرى أنه من المألوف أن تتردد فى أسفارها عبارات غاية فى القسوة والوحشية ومقارفة الرذائل بشتى صورها ، مثل « وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجه وأخذوا المدينة وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، وقال يشوع للرجلين الذين تجسا : إدخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة، وكل مالها كما حلفتما لها (يشوع ٦ : ٢٠ - ٢٢) ، ويكون عند أخذكم

(١) ابو الأنبياء ، للاستاذ عباس العقاد ص ١٤٠ .

المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار كقول الرب تفعلون » (يشوع ٨ : ٨)
وكان لما إنتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية حيث لحقوهم ولقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا ، إن جميع إسرائيل رجع إلى عاى ، وضربوهم بالسيف ، فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء أثنى عشر الفا ، جميع أهل عاى ، » (يشوع : ٢٤ - ٢٥)
فقال لهم يشوع : لا تخافوا ولا ترتعبوا تشددوا وتشجعوا ، لأنه هكذا فعل الرب بجميع اعدائكم الذين تحاربونهم ، وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب ، وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء »
(يشوع ١٠ : ٢٥ - ٢٦) .

ثم هناك أخيراً هذه العبارة الناضحة بالشر ، والتى جاءت فى ميخا : «قومى ودوسى يا بنت صهيون لأنى أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاسا فتسحقين شعوبا كثيرين ، وأحرم غنيمتهم للرب ، وثروتهم لسيد كل الأرض » (ميخا ٤ : ١٣) .

* قبل عهد موسى - عليه السلام - بألف سنة أوصى أحد الفراعنة إبنه بقوله : « أن فضيلة الرجل المستقيم لأحظى بالقبول من ثور رجل يقيم الظلم » فإن المعنى الذى تتضمنه هذه الوصية هو نفس ما ورد فى التوراة ، بما يشبه التطابق النصى فى قولها : « هو ذا الإستماع أفضل من الذبيحة والاصغاء أفضل من الكباش » صموئيل الأول ١٥ : ٢٢

* « فعل الحق والعدل أفضل عند الرب من الذبيحة » أمثال ٢١ : ٣ .

وسفر الأمثال، حاشد بالكثير مما يعد حكما ويحث على مكارم الأخلاق وأصبح كل مثال فيه يصفع اليهود بما فيه من توجيهات وأخلاقيات .

« أمل اذنك وإسمع كلام الحكماء ، ووجه قلبك إلى معرفتى لأن حسن إن حفظتها فى جوفك أن تثبت جميعاً على شفتيك » ٢٢ : ١٧ - ١٨ .

« لأعلمك قط كلام الحق لترد جواب الحق للذين ارسلوك » ٢٢ : ٢١ .

« لا تنقل النخم القديم ولا تدخل حقول الأيتام » ٢٣ : ١٠ .

«لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ، ولا تسحق المسكين فى الباب» ٢٢:٢٢

« القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هم أكلة من البقول حيث تكون المحبة خيراً من ثور معلوف ومعه بغضة » ١٥ : ١٦ - ١٧ .

« لقمة يابسة مع سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام » ١٧ : ١

« لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لا تجئ » ٢٢ : ٢٤ .

« لا تقل إنى وجدت شراً إنتظر الرب فيخلصك » ١٠ : ٢٢ .

وإذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملاً ، وضع سكينا لحنجرتك إن كنت شرها ، لا تشته اطاييبه لأنها خبر أكاذيب » .

« ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ، ويجعل الشر ذراعه ، وعن الرب يحيد قلبه ويكون مثل العرعر فى البادية ، ولا يرى إذا جاء الخبر ، بل يسكن الحرة فى البرية أرضا سبخة وغير مسكونة ، مبارك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها ولا ترى إذا جاد الحر ، ويكون ورقها أخضر وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار » ارميا ١٧ : ٥ - ٨ .

«تجعل ظلمة فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر » مزمور ١٠٤ : ٢٠ .

« الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها » مزمور ١٠٤ : ٢١ .

« تشرق الشمس فتجتمع ، وفى مآويها تربض الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء » مزمور ١٠٤ : ٢٢ - ٢٣ .

وداود أيضاً هو القائل كما جاء فى التوراة :

«الرب صخرتى وحصنى ومنقذى، إله صخرتى به أحتمى» صموئيل ٢ :١١.

« لأنه من هو إله غير الرب ومن هو صخرة غير إلهنا ، الإله الذى يعززنى بالقوة ويصير طريقى كاملا » .

« يكافئنى الرب حسب برى حسب طهارة يدى يردّ علىّ » .

هو نفسه داود الذى يرميه بنو إسرائيل بأبشع التهم والإفترا ءات ، ذلك لأن الخط المستقيم بالنسبة لهم معدوم دائماً فى حياتهم .

فرغم ما قدمه داود إليهم ، وبعد أن أصبح ملكاً عليهم ، وكرمه الله فجعله نبياً من الصالحين إلا أن بنى إسرائيل لم يجدوا غضاضة فى أن يلفقوا له قصة أو تهمة من نسج خيالهم، ونبت مشاعرهم، ونتاج أخلاقياتهم.

إنهم يحقدون حتى على رجل من بينهم قدم إليهم الكثير والكثير ، ولكنهم أبداً غدارون .

ونروى قصة هذا الإتهام كما جاءت فى التوراة كتابهم المقدس .

أرسل داود يو آب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأضربوا بنى عمون « وأما داود فأقام فى أورشليم ، وكان فى وقت المساء ، أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح إمرأة تستحم وكانت جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه « بتشبع » بنت « أليعام » إمرأة « أوريا الحثى » فأرسل داود رسلا فأخذها فدخلت عليه فأضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود ، وقالت : إنى حبلى، فأرسل داود إلى يو آب : يقول إرسل إلىّ « أوريا الحثى » صموئيل .

وتقول التوراة : إن داود إحتال للأمر ، فأستدعى « أوريا الحثى » من جبهة القتال ، حتى إذا ظهر الحمل عند زوجه « بتشبع » ظن الناس أنه من زوجها الذى عاد إليها وإضطجع معها ، وليس من إنسان آخر .

ولما رفض الرجل أن يدخل على زوجه ، بينما أخوة له يحاربون الأعداء ارسل داود مكتوبا إلى يو آب » مع أوريا العائد إلى جبهة القتال يطلب فيه من قائد جيشه أن يجعل أوريا فى وجه الخطر ، ويرجعوا عنه ليبقى وحده وجها لوجه مع الأعداء فيضرب ويموت .

وأرسل الرب إلى « داود » « ناثان » ليقف به على حقيقة ما حدث منه ثم يبلغه حكم الله فيه ، تقول التوراة :

« والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ، لأنك إحتقرتنى وأخذت إمرأة أوريا الحثى لتكون لك إمرأة ، هكذا قال الرب ، هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس » صموئيل ٢ : ١١ .

فهل ينسجم هذا الإتهام الرخيص ، وهذه الفرية الحقيرة ، وهذا التقول المغرض مع ما هو معروف عن نبى الله داود من خلق كريم ونفس أبيه ؟!!

إنه التناقص ، وهو اللحن النشاز الذى يميز اليهود عن سائر البشر .

ويجعل العقلاء يصمون آذانهم عند سماعه .

وإذا كانت توراة اليهود - ولا نقول : توراة الله - تركز على نقاط الضعف النفسى لدى الإنسان فتبرزها مضافا إليها عناصر تشويقية أخرى إلى أنها فى جانب النبوة لا مكان ولا وجود لها مع عصمة الانبياء أنفسهم .

فكيف يقبل عاقل حرفا واحداً مما جاء فى توراة اليهود هذه ؟!!

جاء فى التوراة اليهودية :

« وكان مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة ، فلما إنقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من أرض مصر »

وهذه إضطرابات ومغالطات جاءت فى توراتهم، إذ يقول هنا إن مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثون سنة ، وجاء فى التوراة فى موضع آخر فى سفر التكوين أن « فاهاث » ابن لاوى ، دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه « لاوى » ومع سائر أعمامه وبنى أعمامه ، وأن عمر «فاهاث» فى ذاك الوقت كان مائة وثلاثة وثلاثين سنة ، وأن « عمران بن فاهاث ابن لاوى كان عمره مائة وسبعة وثلاثين سنة ، وأن موسى بن عمران ابن فاهاث بن لاوى كان إذ خرج ببنى إسرائيل من مصر إبن ثمانين سنة نعم هذا مذكور فى التوراة ، فلنفرض أن « فاهاث » دخل مصر وهو ابن شهرا أو أقل ، وأن عمران إبنه ولد بعد موته ، وأن موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ، فيكون مجموع السنين حينئذ ثلثمائة وخمسين عاماً فيكون هناك ثمانون

عاما ساقطة أو ناقصة من جملة الأربعمائة وثلاثين عاما ، فأين ذهبت ؟ لا أحد يدرى ، ولكن الإضطراب والتناقص آثرنا أن نذكره لنبين أننا لسنا متجنين على القوم ، ولكننا ندينهم من كتبهم وهذا يوضح أيضاً أن التوراة لم يكتبها واحد وإنما كتبها أكثر من واحد ، إذ كانت المسألة بالنسبة لأحبار اليهود وحاخاماتهم مباراة فى إظهار حيل والاعيب اليهود عندما يريدون شيئاً أو ينتصرون لشئ ، أو يروجون لفكرة تعتمل فى رؤوسهم ، ومما يدل على هذا ما جاء فى سفر التكوين ٢٦ : ٣٤ ، ٣٥ .

« ولما كان عيسو ابن أربعين سنة أتخذ زوجة يهوديت إبنة بيرى الحثى، وبسمة إبنة ايلون الحثى ، فكانت مرارة نفس لإسحاق ورفقة » وجاء فى نفس السفر « فذهب عيسو إلى إسماعيل ، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت بنايوت زوجة له على نسائه » تكوين ٢٨ : ٩

وورد أيضاً فى نفس السفر : « أخذ عيسو نساءه ، من بنات كنعان ، عدا بنت أيلون الحثى وأهو ليبامة بنت عنى ، بنت صبعون الحوى وبسمة بنت إسماعيل أخت بنايوت فولدت عدا لعيسو » ٣٦ : ٢ - ٤ .

فالتناقص هنا واضح إذ يبين أن الكاتب أكثر من واحد ، وهذا يظهر عند سرد زوجات عيسو بن إسحاق ، فقد ذكر فى النص الأول أنه تزوج إبنة بيرى الحثى ، يهوديت ، ثم رجع فى النص الأخير فذكر أنها ليست يهوديت لكنها ، عدا ، بنت إيلون الحثى ، مما يجعلنا نتساءل : هل هى يهوديت إبنة بيرى ، أم هى عدا إبنة ايلون الحثى وهل بنت ايلون الحثى بسمة أم عدا ؟!!

فهل كان الكاتب واحداً ولكنه لا يعى ما يقول أو أنه ينقل دون تمحيص أم أنه كان أكثر من كاتب ، وكل كاتب يكتب حسب هواه وما يراه ؟

ولكن الحقيقة المؤكدة أن هذا الكلام يستحيل نسبته إلى الله تعالى - أو إلى نبى من أنبائه ، وهذا ينفي عنه صفة القداسة بالمرة .

***

النصوص تتكلم

بنوا إسرائيل وأحوالهم

فى القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم بنى إسرائيل فى مختلف مراحل حياتهم النفسية والسلوكية تناولا كشف حقيقتهم وفضح نواياهم ، وأظهرهم كأمة لا تدين إلا بالتمرد ، ولا تعترف إلا بالعصيان ، ولا تؤمن إلا بما يوافق هواها وأطماعها وقد سجل القرآن الكريم حقيقة بنى إسرائيل ، أخذا من تصرفاتهم فى الحياة بحيدة وصدق وأمانة ، لا تجعل لأحد من الناس حجة عليه ، وكيف لا وهو خاتم الكتب السماوية ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وسوف نتجاوز الفترة الزمنية التى كانت لنبى الله يوسف عليه السلام على أن تكون البداية مع نبى الله موسى - عليه السلام - .

قال تعالى :

﴿ وإذ قال موسى لقومه إذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ إبراهيم أية ٦ .

﴿ وإذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ سورة البقرة أية ٤٩ .

﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ القصص أية ٤ .

﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون ﴾ أى بنى اسرائيل .

﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ سورةالأعراف.

﴿ قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم علي العالمين ﴾

﴿ وإذا قال موسى لقومه إذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين * يا قوم إدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما إدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسي إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ سورة المائدة .

إنها نتيجة حتمية لما كان منهم من جبن وعصيان وعدم قبول النصيحة من الناصحين .

وفى إختيار طالوت ملكا على بنى إسرائيل والمعركة التى كانت بينهم وبين جالوت وجنوده قال تعالى :

﴿ ألم تر إلي الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم إبعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ﴾ البقرة ٢٤٣-٢٥٢ .

﴿ يا بنى إسرائيل إذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا وإياى فاتقون ﴾ البقرة ٤٠ ، ٤١ .

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثير ﴾ النساء أية ٣ .

﴿ سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من أيات بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴾ سورة البقرة أية ٢١١ .

﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما ﴾ فهذا توبيخ قوى على تعاطيهم الربا بعد ما نهوا عنه وكذا أكلهم أموال الناس بدون وجه حق .

﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ سورة الحشر .

﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله * ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ .

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ البقرة .

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ البقرة .

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ سورة المائدة ١٥ ، ١٦ .

جاء في سفر التكوين أن الله -تعالى- بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام ، إستراح في اليوم السابع وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك -بزعمهم- هذا اليوم من أجل ذلك فالعمل فيه محرم ، وقد كذبهم الله في هذا الزعم فقال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ سورة ق ٣٨ . وفسر اللغوب بأنه التعب .

﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم اساري تفادوهم وهو محرم عليكم أخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ البقرة ٨٤ - ٨٥ .

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ البقرة.

﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ سورة الصف أية ٦ .

﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ .

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ... ﴾ آل عمران ٦٤ .

﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها علي أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ النساء ٤٧ .

﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾

﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما إختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ سورة الجاثية .

﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلي جل مسمي لقضي بينهم وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴾ سورة النمل ٧٦ .

﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ..﴾ سورة الشورى ١٤ .

﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ يونس ٩٤ .

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ البقرة ٨٣ .

﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ... ﴾ آل عمران ١١٣ - ١١٥ .

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ العنكبوت آية ٤٦ .

﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴾ .

قال الإمام الرازى فى تفسيره : « إنهم طلبوا هذه المعجزة لا على سبيل الإسترشاد وإنما على سبيل التعنت وذلك لأن إسلافهم طلبوا هذه المعجزة من أنبيائهم السابقين مثل « زكريا ويحيى وعيسى - عليهم السلام - فلما أظهروا لهم هذه المعجزة سعوا فى قتلهم ، بعد أن قابلوهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وذلك يدل على أن مطالبتهم كانت على سبيل التعنت ...

﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ .

﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ... ﴾ آل عمران ٦٦ - ٦٩ .

﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون ﴾ سورة المائدة ٥٩ .

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾

﴿ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ... ﴾ الأية البقرة .

إذ المراد بالسفهاء هنا اليهود الذين إستنكروا تحويل القبلة ومن لف لفهم من المنافقين ومشركى العرب . وإنما سماهم الله سفهاء ، لأنهم سفهوا الحق وجحدوه وأنكروا نبوة النبى - ﷺ - مع علمهم بصدقه فى رسالته .

﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ .

﴿ الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ... ﴾ .

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما إختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ سورة الأنعام ١٤٧ .

﴿ كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فمن إفترى على الله الكذب من بعد ذلك فؤلئك هم الظالمون ... ﴾ آل عمران ٩٣ - ٩٥ .

قال الإمام ابن كثير : «الآية شروع فى الرد على اليهود وبيان أن النسخ الذى أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع فإن الله - تعالى - قد نص فى كتابهم التوراة أن نوحا - عليه السلام - لما خرج من السفينة ، أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل والبانها ، فتبعه بنوه فيما حرم على نفسه، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وبتحريم أشياء أخرى زيادة على ذلك ، وهذا هو النسخ بعينه» تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٨٢ .

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ سورة النساء ١٦٠ .

﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم إتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ النساء ١٥٣ - ١٥٤ .

﴿ سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴾ البقرة ٢١١ .

﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ... ﴾ آل عمران ٧٥ .

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ آل عمران ٩٩ .

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ﴾ آل عمران ٩٨ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ آل عمران ١٠٠ .

﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله .. ﴾ آل عمران ١١٢ .

﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾ آل عمران ١٨٧ .

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ... ﴾ النساء ٤٦ .

﴿ يا يها الذين وتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ﴾ النساء ٤٧ .

﴿ يـــا أهـل الكتـاب لا تغـلـوا فـي دينكــم ولا تقـولـوا عـلـى الله إلا الحـق .. ﴾ النساء ١٧١ .

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ... ﴾ المائدة ١٤١ .

﴿ يـا أهـل الكتـاب قـد جـاءكـم رسـولنـا يبين لكم على فـتـرة من الرسل ﴾ المائدة ١٩ .

﴿ مـن أجـل ذلك كتبنـا علي بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسـاد فـي الأرض فكأنمـا قـتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ المائدة ٣٢ .

﴿ ... ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ... ﴾ المائدة ٤١ .

﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ المائدة ٤٣ .

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ... ﴾ المائدة ٦٤ .

﴿ ولو أن أهل الكتاب أمنوا وإتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ... ﴾ المائدة ٦٥ .

﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليـهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .... ﴾ المائدة ٦٦ .

﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ... ﴾ المائدة ٧٧ .

﴿ لعـن الذيـن كـفـروا مـن بنـي إسـرائيـل علـى لسـان داود وعيسـى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ... ﴾ المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .. ﴾ البقرة ٤٤

﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ البقرة ٥٠

﴿ ولقـد علمتـم الذيـن إعتـدوا منكـم في السبت فقلنا لهم كـونوا قردة خاسئين ﴾ البقرة ٦٥ .

﴿ وإذ قال موسي لقومه أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ ٦٧-٧٤ سورة البقرة.

﴿وإذ أخذ ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾ البقرة ٨٣

﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ... ﴾ البقرة ٨٤ .

﴿ أولئك الذين إشتروا الحياة الدنيا بالأخرة فلا يخفف عنهم العذاب ... ﴾

﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ البقرة ٨٩

﴿ قل إن كانت لكم الدار الأخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ البقرة ٩٤ : ٩٥ .

﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ البقرة ٩٦

﴿ أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ البقرة ١٠٠.

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ ... ﴾ البقرة ١١٣ .

﴿ وقالوا إتخذ الله ولداً سبحانه .. ﴾ البقرة ١١٦ .

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم ﴾ البقرة ١٢٠ .

﴿ وقالوا كونوا هوداً أونصارى تهتدوا ... ﴾ البقرة ١٣٥ .

﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ... ﴾ البقرة ١٤٠ .

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ ١٧٤ .

﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ... ﴾ المائدة ٨٠

﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ .

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون *

قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء .. ﴾ .

إنها آيات تأنيب وتقريع وتهديد بالعقاب الشديد الذى يقع لليهود جزاء على مسلكهم الشائن تجاه المؤمنين الذين إستمعوا إلى صوت الحق والعقل والمنطق .

﴿ وقالت طائفة من أهل الكتٰب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله ... ﴾ آل عمران ٧١ - ٧٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ المائدة ٥٢ .

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ... ﴾ النساء ٥١ - ٥٢ .

قال إبن جرير فى تفسيره : قد رأيت وعلمت علم اليقين - أيها الرسول الكريم - حال هؤلاء اليهود الذين أوتوا حظا من الكتاب يؤمنون بردئ العقائد والأخلاق ، ويصدقون عبدة الأوثان ، غير أنه يقال : والصواب من القول فى تأويل ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ أن يقال : لصدقوا بمعبودين من دون الله ويتخذونهما إلهين ، وذلك أن الجبت والطاغون إسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له ، كائنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان » تفسير ابن جرير جـ ٥ ص ١٣٣ .

﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ البقرة ١٠٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين إتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ المائدة ٥٧ .

﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة إتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ٥٨ .

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ... وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ... ﴾ آل عمران .

﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ .

﴿ لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ آل عمران .

﴿ فإذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ .

﴿ لن نصبر على طعام واحد فأدعو لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ... ﴾ الآية .

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾

﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾ .

﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فأن الله شديد العقاب ﴾

﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ الحشر ٢

﴿وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾ الحشر ٢

﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً أبداً ﴾ الحشر ١١

﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ الأحزاب ٢٦ : ٢٧ .

﴿ ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا

من المسرفين ولقد إخترناهم علي علم علي العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾ سورة الدخان ٣٠ - ٣٣ .

﴿ وإذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ سورة إبراهيم ١٤١ .

﴿ وإذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ .

﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ سورة الأنبياء ٤٩ .

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ... ﴾ سورة الجمعة .

وفى مدة تيههم بين مصر والشام قال تعالى :

﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ﴾ .

﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ... ﴾ الأعراف ١٧١ .

﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ آل عمران ٢١ ، ٢٢ .

﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾

﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلي ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ سورة الأعراف ١٦٣ - ١٦٦ .

﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ... ﴾ البقرة ١٠١ .

﴿ وإذا لقـوا الذين آمنوا قـالوا آمنا وإذا خـلا بعـضـهم إلى بعض قـالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾

﴿ ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾

﴿ إن الذين إتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴾

* * *

النصوص تتكلم

القرآن الكريم

نعم الله على بنى إسرائيل

ذكر إبن الجزى فى تفسيره تلخيصا لطبيعة هؤلاء الناس فقال :

« أنعم الله على بنى إسرائيل بعشر نعم فقابلوها بعشر سيئات . فعوقبوا بعشر عقوبات : »

أما النعم فهى :

﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ .

﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾

﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾

﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى * كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾

﴿ ثم عفونا عنكم ﴾

﴿ لعلكم تهتدون ﴾

﴿ وإذا إستسقى موسى لقومه فقلنا إضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا .. ﴾

أما السيئات فهى :

﴿ سمعنا وعصينا ﴾

﴿ ثم إتخذتم العجل من بعده وأنتم تنظرون ﴾

﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾

﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾

﴿ لن نصبر على طعام واحد ... ﴾

﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾

﴿ ثم توليتم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة .. ﴾

﴿ وكفرهم بآيات الله ﴾

﴿ وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾

﴿ وقولهم قلوبنا غلف ﴾

أما العقوبات فهى :

﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾

﴿ باءوا بغضب من الله ﴾

﴿ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾

﴿ إقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ﴾

﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾

﴿ وأنزلنا عليهم رجزاً من السماء ﴾

﴿ أخذتكم الصاعقة ﴾

﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾

﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾

* * *

النصوص تتكلم

« من السنة النبوية الشريفة »

* جاءت الأخبار الصحيحة بأن رسول الله - ﷺ - بعد هجرته إلى المدينة كان يذهب إلى اليهود فى «مدارسهم» ليدعوهم إلى الإسلام وليحذرهم من الكفر به، فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : (بينما نحن فى المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ - فقال : إنطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدْرَاس ، فقام النبى - عليه الصلاة والسلام ، فناداهم : يا معشر يهود إسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال : ذلك آريد ثم قال الثانية ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، ثم قال فى الثالثة إعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإنى أريد أن أجليكم ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » صحيح البخارى جـ ٩ ص ٤٦ .

وبعض الصحابة -كأبى بكر الصديق-رضى الله عنه- كان يذهب إليهم فى المكان نفسه ليأمرهم باتباع محمد - ﷺ - الذى كانوا يستفتحون به على غيرهم ، والذى يعرفون صدقة فيما بلغه عن ربه كما يعرفون أبناءهم .

* جاء فى الحديث الشريف عن أنس -رضى الله عنه- أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت، فسأل الصحابة النبى - ﷺ- فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام - إصنعوا كل شئ إلا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يترك من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيْد بن حضير وعباد بن بشير فقالا : يا رسول الله ، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن ؟ فتغير وجه النبى - ﷺ -

حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فأستقبلتهما هدية من لبن ، إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فبعث فى أثرهما فسقاهما ، فعرفا أنه لم يجد عليهما » أخرجه مسلم فى صحيحه .

* أخرج البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال : قرأت فى التوراة صفة النبى -عليه الصلاة والسلام- محمد رسول الله عبدى ورسولى سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله » .

* أخرج الإمام أحمد فى مسنده، عن أبى صخر العقيلى قال :(حدثنى رجل من الأعراب فقال : جلبت حلوبة إلى المدينة فى حياة النبى - ﷺ - فلما فرغت من بيعى قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ، قال : فتلقانى بين أبى بكر وعمر بمشيان ، فتبعتهم حتى إذا أتوا على رجل من اليهود ، وقدنشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن إبن له فى الموت كأجمل الفتيان وأحسنها ، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام - : « أنشدك بالذى أنزل التوراة ، هل تجد فى كتابك هذا صفتى ومخرجى » فقال برأسه هكذا ، أى: لا فقال إبنه : أي والذى أنزل التوراة إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك ، وأنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال الرسول - عليه الصلاة والسلام - « أقيموا اليهودى عن أخيكم » ثم تولى كفنه والصلاة عليه » تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٥١ .

* روى الإمام مسلم فى صحيحه -عن أبى موسى الأشعرى- رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - « والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار .

* روى عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن رجال من قومه قالوا « مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله وهداه أنا كنا نسمع من رجال يهود ، حين كنا أهل شرك ، وكانوا هم أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ،

وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فكنا إذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله محمداً ﷺ رسولاً من عند الله ، أجبنا حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به، وكفروا به ففينا وفيهم نزل قوله تعالى :

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

* أخرج ابن جرير عن ابن عباس -رضى الله عنهما قال : كلم رسول الله ﷺ - رؤساء من أحبار اليهود ، منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد، فقال لهم : يا معشر يهود : إتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون إن الذى جئتكم به لحق ، فقالوا : ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ماعرفوا، وأصروا على الكفر ... »

ومن مظاهر سماحة الإسلام، مع أهل الكتاب، أنه لم يوجب الجزية إلا على الرجال فيهم ، ولم يوجبها على النساء والصبيان ، وليس هذا فقط ، بل إن الإسلام لم يأخذها إلا ممن يقدر على دفعها أما من ثبت عجزه عن أدائها فلا يكلف بها .

روى أبو يوسف - صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما - فى كتابه «الخراج » أن عمر - رضى الله عنه - مر على قوم أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟ قالوا : يقولون ما نجد، قال : دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، ثم أمر بهم فخلي سبيلهم » كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٢٥ .

* روى عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أنه قال : « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » .

* وكان فيما تكلم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عند وفاته

(أوصى الخليفة من بعدى ، بذمة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن يوفى لهم وبعهودهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقاتهم » كتاب الخراج مصدر سابق .

* بعثت قريش ، النضر بن الحادث وعقبة بن أبى معيط ، إلى أحبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد - ﷺ - وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول :

سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فأصنعوا فيه ما بدا لكم ، فانصرف النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط حتى قدما مكة وأخبرا قريشا بما سمعا من أحبار اليهود ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد : أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول . وكانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا ، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هى ؟

فقال لهم رسول الله - ﷺ - : (أخبركم غداً عما سألتم عنه) ولم يستثن - أى لم يقل إن شاء الله - فأنصرفوا عنه، ومكث رسول الله - ﷺ- خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل -عليه السلام - حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها ، لا يخبرنا بشئ عما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله - ﷺ- مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل - عليه السلام- من الله بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه

على حزنه عليهم وفيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وجاءه بقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ الآية .

* ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أخطب ، لما قدم النبى - ﷺ - المدينة، ذهب إليه ، وسمع منه، وحادثه ، ثم رجع إلى قومه، فقال : يا قوم أطيعونى فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ، فانطلق أخوه حى بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهودوهما من بنى النضير - فجلس إلى رسول الله- ﷺ - وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا- فقال : أتيت من عند رجل - والله - لا أزال له عدواً أبداً ، فقال له أخوه أبو ياسر يا بن أمي، أطعنى فى هذا الأمر، وإعصنى فيما شئت بعده ، لا تهلك قال : لاوالله لا أطيعك أبداً ، وإستحوذ عليه الشيطان ، واتبعه قومه على رأيه ، قلت : أما أبو ياسر فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حيى فشرب عدواة النبى - عليه الصلاة والسلام - ولم يزل ذلك رأيه حتى هلك » .

* وفى البداية والنهاية لابن كثير ، أن محمد بن إسحاق قال : وكتب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وأشترط عليهم وشرط لهم، وقد جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس .

المهاجرون من قريش على ربعتهم [1] ، يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم [2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون ، معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى

(١) ربعتهم : أمرهم الذى كانوا عليه .
(٢) المعانى : الأسير .

عانيا بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الحارث على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وإنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر ، دون الإثم ، وأنه لا يأثم أمرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو إشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد رسول الله - ﷺ - وأن الله على أتقي ما فى هذه الصحيفة وأبره وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله - ﷺ - » سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١١٩ .

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - ﷺ - قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء : يا معشر يهود ، إتقوا الله واسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - ﷺ - ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفوه لنا بصفته ، فقال لهما سلام بن مشكم - أخو بنى النضير - ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم ... » تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٢٤ .

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له : مالك بن الصيف ، فخاصم النبى - عليه الصلاة والسلام - فقال له النبى - عليه الصلاة والسلام- أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجد فى التوراة ، أن الله يبغض الحبر السمين - وكان حبرا سمينا - فغضب وقال « ما أنزل الله على بشر من شئ » فقال له أصحابه : ويحك . ولا على موسى ؟ فأنزل الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :

« إجتمعت نصارى نجران واحبار يهود ، عند رسول الله -ﷺ- فتنازعوا عنده فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ﴾ الآية.

* أخرج إبن جرير - عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال :

(أتى رسول الله - ﷺ -) نفرمن اليهود ، فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع، وآزار بن أبى آزار، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؟ قال : أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بمن آمن به، وما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة، منكم ، ولا دينا شراً من دينكم فأنزل الله فيهم :

﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ... ﴾ الآية : .

* أخرج البخارى فى صحيحه ، عن البراء بن عازب - رضى الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله - ﷺ - يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون ، فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى -عليه الصلاة والسلام - جهة مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك » صحيح البخارى جـ ١ ص ١٧ .

* روى أنس رضى الله عنه قال :

بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة فأتاه فقال : إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى: أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أى شئ ينزع الولد إلى أبيه، ومن أى شئ ينزع إلى أخواله؟

فقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - (هم فى الظلمة دون الجسر- أى الصراط -) فقال اليهودى: فمن أول إجازة -أى عبور الصراط- ؟ قال (فقراء المهاجرين) فقال اليهودى: فما تحفتهم -أى هديتهم-حين يدخلون الجنة؟ فقال :رسول الله -ﷺ- (زيادة كبد الحوت) فقال اليهودى: فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال :(ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها) فقال: فما شرابهم عليه؟ قال:(من عين تسمى سلسبيلا) فقال اليهودى صدقت .

* أخرج أبو داود عن أبى نملة الأنصارى عن أبيه، بينما هو جالس عند رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وعنده رجل من اليهود ، إذ مرَّ بجنازة، فقال اليهودى: يا محمد هل تتكلم الجنازة؟ فقال النبى-عليه الصلاة والسلام- الله أعلم فقال اليهودى : إنها تتكلم، فقال النبى - عليه الصلاة والسلام- ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه » .

* وقال ابن إسحاق : (أتى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - النمام بن زيد وقردم بن كعب ، وبحرى بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تعلم أن مع الله آلهة أخرى ؟ فقال رسول الله -عليه الصلاة والسلام - الله لا إله إلا هو بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم : ﴿ قل أى شئ أكبر شهادة ﴾ فهذه نصوص من السنة النبوية الشريفة - وهى كثيرة - توضح وتبين وتؤكد حقيقة ما نقول من أن النصوص على أختلاف مصادرها تظهر ما عليه اليهود سلوكا وأخلاقا ، ولو ذهبنا نتتبع هذه النصوص كلها لوجدنا منها الكثير والكثير الذى يصعب حصره، ولكننا آثرنا أن نورد بعضها ففيه غناء كاف ، وكتب التاريخ والسير تذخر بهذه الشواهد لكل من يريد الزيادة عما قلناه ونحن على ثقة من أن الحقيقة ستعلن عن نفسها دائماً لأنها هى الباقية أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

* * *

يوم السبت

وعلاقة اليهود به

تتلخص قصة يوم السبت وعلاقة اليهود به، فى أنهم « كانوا زمن داود - عليه السلام - بأرض يقال لها « آيلة » وقد حرم الله عليهم صيد السمك فى يوم السبت ،

فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر إلا حضر هناك ، وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من كثرتها ، فإذا مضى تفرقت ولزمت البحر فى قعره ، لا تكاد تريم ، وفى ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ .

ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال : إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فلا بأس عليكم من أخذها فى يوم آخر .

فعمد رجال من بنى إسرائيل فحفروا الحياض من حول البحر ، وشرعوا منه إليها الأنهار ، فإذا كانت عيشته الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض ، فإذا كان يوم الأحد أخذوها » [(١)] .

ويقول ابن كثير فى تفسيره :«وهؤلاء قوم إحتالوا على إنتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة، التى معناها فى الباطن تعاطى الحرام، وقد قال الفقيه الامام أبو عبد الله بن بطة -رحمه الله- حدثنا أحمد بن

(١) الخطيب الشربينى : السراج المنير جـ ١ ص ٦٢ : ٦٤ بتصرف .

محمد بن عمرو عن أبى سلمة -رضى الله عنه- عن أبى هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال :«لا ترتكبوا ما إرتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا إسناد جيد .. ورجاله مشهورون ثقاة ... » تفسير ابن كثير جـ ٣ .

وقال تعالى فى سورة البقرة ﴿ ولقد علمتم الذين إعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين .. ﴾ الآية ٦٥ .

يقول ابن كثير فى تفسيره « ولقد علمتم يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التى عصت أمر الله ، وخالفوا عهده وميثاقه ، فيما أخذه عليهم من تعظيم يوم السبت والقيام بأمره ، إذ كان مشروعا لهم ، فتحايلوا على إصطياد الحيتان فى يوم السبت ، بما وضعوا لها من النصوص والحبائل والحيل ، والبرك يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها فى الكثرة، نشبت بتلك الحبائل والحيل ، فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوها بعد إنقضاء السبت ، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة قردة ، وهى أشبه شئ بالأناسى فى الشكل الظاهر ، وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلهم لما كانت مشابهة للحق فى الظاهر ، ومخالفة له فى الباطن ، كان جزاؤهم من جنس عملهم .

وقال السدى : أهل هذه القرية هم أهل « إيلة » وكذا قال قتادة « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » أى فجعل الله منهم القردة والخنازير ، وهذا قول ابن عباس - رضى الله عنهما - فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن الشيخة صاروا خنازير وقال شيبان النحوى : عن قتادة : فصار القوم قردة تعاوى، لها أذناب بعد ما كانوا رجالاً ونساء، وقال عطاء الخراسانى : نودوا يا أهل القرية (كونوا قردة خاسئين) فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم، فيقولون : يا فلان . ألم ننهكم ؟ فيقولون برؤوسهم أى بلى، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن مسلم ... عن إبن عباس -رضى الله عنهما- قال: إنما كان الذين اعتدوا فى السبت فجلعوا قردة فواقا، ثم هلكوا، ما كان للمسخ نسلا، وقال الضحاك عن إبن عباس أيضا : فمسخهم الله قردة بمعصيتهم، يقول : إذ لا يحيون فى

الأرض إلا ثلاثة أيام ، قال : ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل أو يشرب ولم ينسل ، وقد خلق الله القردة والخنازير ، وسائر الخلق فى الستة أيام التى ذكرها الله فى كتابه فمسخ هؤلاء القوم فى صورة القردة ، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ويحوله كما يشاء ، وعن أبى العالية ، قال : يعنى أذلة صاغرين ، وروى عن مجاهد وعن عكرمة قال : قال ابن عباس ، إن الله إنما إفترض على بنى إسرائيل اليوم الذى إفترض عليكم فى عيدكم يوم الجمعة ، فخالفوا إلى السبت ، فعظموه وتركوا ما أمروا به ، فلما أبو إلا لزوم السبت إبتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره، وكانوا فى قرية ، بين « إيلة والطور » يقال لها «مدين» فحرم الله عليهم فى السبت الحيتان صيدها وأكلها ، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ، ذهبن فلم يروا حوتا صغيراً ولا كبيراً ، حتى إذا ذهب السبت ، ذهبن فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً ، حتى إذا كان يوم السبت أتين سراً ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك ، حتى طال عليهم الأمد ، وقدموا إلى الحيتان ، عمد رجل منهم فأخذ حوتاً سراً يوم السبت ، فحزمه بخيط ، ثم أرسله فى الماء وأوتد له وتداً فى الساحل ، فأوثقه ثم تركه ، حتى إذا كان الغد جاء فأخذه ، أى إنى لم آخذه يوم السبت ، فأنطلق به فأكله ، حتى إذا كان يوم السبت الآخر، عاد لمثل ذلك ، ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية : والله لقد وجدنا ريح الحيتان ، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل ، قال : ففعلوا كما فعل، وصنعوا سراً ، زماناً طويلاً لم يعجل الله عليهم العقوبة ، حتى صادوها علانية ، وباعوها بالأسواق فقالت طائفة منهم من أهل البقية : ويحكم ، إتقوا الله ، ونهوهم عما كانوا يصنعون ، فقالت طائفة أخرى ، لم تأكل الحيتان، ولم تنه القوم عما صنعوا : لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً ؟ قالوا معذرة إلى ربكم بسخطنا أعمالهم، ولعلهم يتقون ، قال ابن عباس رضى الله عنهما فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقية فى أنديتهم، ومساجدهم، فقدوا الناس، فلم يروهم، قال : فقال بعضهم لبعض : إن للناس شأنا، فأنظروا ما هو، فذهبوا ينظرون فى دورهم ، فوجدوها مغلقة

عليهم، قد دخلوها ليلاً فغلقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد ، والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبى بعينه ، وإنه لقرد ، قال : قال إبن عباس : فلولا ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء، لقد أهلك الله الجميع منهم ، قال: وهى القرية التى قال جل ثناؤه :

﴿ واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ﴾ الآية .

وفيها قال السدى : هم أهل « إيلة » وهي القرية التى كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت ، وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا فى السبت شيئاً ، لم يبق فى البحر حوت إلا خرج ، حتى يخرجن خراطيمهم من الماء فإذا كان يوم الأحد لزمن أسفل البحر، فلم ير منهن شئ حتى يكون يوم السبت، فلذلك قوله تعالى: ﴿ وأسألهم عن القرية ﴾ الآية [1].

وقد قيل فى تفسير هذه الأية أقوال كثيرة ، ولكنها لا تخرج فى مجموعها عن هذا المعنى ومع أنهم أختاروا يوم السبت ليكون يوم عبادتهم بدلا من يوم الجمعة - لأن الله فرغ فيه من خلق السموات والأرض - بزعمهم إلا أنهم إحتالوا أيضاً حتى لا يلزموا أنفسهم ، فكان أن إعتدوا عليه ،

وقد بلغت بهم الوقاحة إلى الحد الذى يتهمون فيه السيد المسيح - عليه السلام - لأنه يشفى مريضاً يوم السبت ، أى أنهم يبيحون لأنفسهم التمسك بالمظهر وفى نفس الوقت يهاجمون المسيح - عليه السلام - الذى يأخذ بيدهم إلى ما يريد من كلامه « كان يعلم فى أحد المجامع يوم السبت، وإذا إمرأة كأن فيها ضعف ثمانى عشرة سنة ، وكانت منحنية ، ولم تقدر أن تنتصب البتة فلما رآها يسوع دعاها وقال لها : يا إمرأة إنك محلولة من ضعفك ووضع عليها يده ، ففى الحال إستقامت ومجدت الله ، فأجاب رئسى المجمع وهو مغتاظ، لأن يسوع أبرأ فى السبت، وقال للمجمع : هى ستة أيام ينبغى فيها العمل ، ففى هذه إئتوا وإستشفوا ، وليس فى يوم السبت ،

(١) تفسير ابن كثير الجزء الأول .

فأجاب الرب وقال : يا مرائى ، إلا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره فى المزود ، ويمضى به ويسقيه وهذه إبنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمان عشرة سنة ، أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت » .

من هذا الحوار تستطيع أن تتعرف على حقيقة بنى إسرائيل ، وطبيعتهم التى تهتم بالشكل بالدرجة الأولى، إذ تبيح للثيران والحمير مالا تبيحه لبنى الإنسان ؟ نفس الفكرة التى قامت عليها إسرائيل وتعيش بها وتعمل من أجلها ، والتلمود ذاخرا بهذه الأوهام الكاذبة والإستعلاء المستفز والغطرسة الممجوجة .

وفى سخرية لاذعة يواجههم السيد المسيح - عليه السلام - مواجهة قوية كاشفاً لهم عن العدو الحقيقى للإنسان ، وهو الشيطان ، داعيا إلى بذل كل مجهود لتحرير الإنسان من إساره ، والخروج من دائرته والتمرد على الاعيبه ووسوسته ، وذلك بالإيمان والعقل .

فإذا كان الحيوان الأعجم يحظى بالطعام والشراب يقدمان إليه من صاحبه ، فلا أقل من أن يتجرد الإنسان من علله وأسقامه ، لأن هذا هو جوهر الأديان التى من مهامها الأساسية ، تحرير بنى الإنسان وتكريمه ليكون جديرا بخلافة الله فى الكون مصداقا لقوله تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

إنها سنة الله فى الخلق، ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ولن تستقيم الحياة حتى فى أشد أوقات الظلمة إلا وفق هذا القانون الإلهى الذى سنه الله للخلق.

فأن يأتى متعصبون حمقى ، موتورون ، يعيشون فى حدود يومهم جاهلين بأمر هذا الكون وغايته ، لأن على بصرهم غشاوة تحجب عنهم رؤية الحقيقة وفى آذانهم وقر يمنع عنهم سماع صوت الحق ، غارقون فى حدودهم الذاتية والآنانية الفردية فلا يعرفون أقدار الرجال .

يقولون للسيد المسيح -عليه السلام- « أنت تشهد لنفسك ، شهادتك

ليست حقاً » فأجاب « يسوع - عليه السلام - «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت ، وإلى أين أذهب ، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب » [1] وما كان لنبى أن ينطق إلا بأمر السماء، وما كان له أن ينطق عن الهوى إذا، فعيسى - عليه السلام - يعى ما يقول لأنه يعرف حقيقة نفسه من أين بدأ وإلى أين المصير ، ولذلك فشهادته شهادة العارف الواثق . ولكن بنى إسرائيل لا يرضيهم هذا الاعتراف ، ولاتشبع فضولهم هذه الحقيقة ، فيقذفونه بأهوائهم ، ويرمونه بما جبلت عليه قريحتهم من إفتراء وأكاذيب على غير هدى أو بصيرة ، لأنهم عموا وصموا ولذلك جاءت شهادتهم عليه باطلة ، لأنها لم تبن على فهم سليم فكما يقول رجال القانون : ما بنى على باطل فهو باطل .

ولكن : لماذا تعرض السيد المسيح ، لما تعرض له فى يوم السبت بالذات صحيح أنه إحتكاك حقيقى باليهود ، وخصوصاً المتزمتين منهم ، ولكنه إحتكاك كشف نواياهم وأظهر خبيئة أنفسهم ، إذ التقى الحق بالباطل وجها لوجه ، لاعلاء كلمة الحق التى هى كلمه الله ، فكان من المحال أن يستمر فى مهادنة الباطل على حساب الحق .

ومن التناقض العجيب عند اليهود أنهم يسمحون بختان البنات فى يوم السبت ، ولكن إذا تعلق الأمر بحياة الإنسان أنكروه ووقفوا له بالمرصاد وحشدوا كل منكر من القول وزوره ، وقد واجههم السيد المسيح -عليه السلام- فى هذه النقطة بالذات مواجهة صريحة لعلهم يرتدعوا أو يرعووا ، مبينا لهم حقيقة الإيمان بموسى : « فى السبت تختنون الإنسان ، فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت لئلا ينقض ناموس موسى .، أفتسخطون على لأنى شفيت إنسانا كله فى السبت لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكما عادلاً » ايوحنا ص ٧ .

لقد أفحمهم هذا المنطق العقلانى البسيط ، فهربوا من الجواب وإحتموا بموسى - عليه السلام - قائلين :

(١) إنجيل يوحنا ص ٨ .

« إننا تلاميذ موسى ، نحن نعلم أن موسى كلمة الله ، وأما هذا فما نعلم من أين هو » يوحنا ص ٩ .

فهل يرفض السيد المسيح - قولا لموسى-عليهما السلام- وهو الذى قال : «ما جئت لأنقض الناموس . وكتب الأنبياء إنما أتيت لأتممها آمين، أقول لكم : إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد ياء واحدة ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع » وهنا يقول لبنى إسرائيل أيضاً : « لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب ، يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامى » يوحنا / ٥ .

ولكنهم إستمروا في جحودهم وإنكارهم، مع وضوح الحقيقة أمام أعينهم وهذا يؤكد على أنهم كانوا مدفوعين بدافع الهوى الذى لا يستند إلى شئ من الواقع والعقل والمنطق ، ولكن هل إستطاع هواهم أن يحميهم أو يعصمهم من غضب الله ؟ أبداً .

ولكن هل يترك اليهود أنفسهم للضياع بهذه البساطة ؟ إذا فليبحثوا لهم عن مهرب أو منفذ أو منقذ ، يبقى عليهم حياتهم التى تعبوا وشقوا وخططوا من أجلها ، فكان أن لجاءوا إلى النسب وعراقة الأصل وماضيهم التليد، اليسوا هم أبناء إبراهيم؟ إذا فقد وجدوها لأن لديهم أعتقاد يقينى، أنهم وحدهم أولى الناس بإبراهيم دون سواهم ، وأنهم من دون خلق الله الجديرون به ، وقد شكل هذا الاعتقاد لدى اليهود عقدة ، جعلتهم فى واد ، وباقى الأجناس الأخرى فى واد آخر، وما دروا أن هذا الاعتقاد سيكون سببا فى نكباتهم على مر السنين المقبلة «إنها إرادة الله . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وخداع النفس الأمارة بالسوء . زين لهم ما يعملون. ولأن السيد المسيح -عليه السلام- يعلم الحقيقة أكثر منهم، فقد شدد النكير عليهم، وفند تلك النزعة السلبية لديهم، كاشفا لهم عن الابن الحقيقى، أو البنوة الحقيقية لأبى الأنبياء -إبراهيم عليه السلام- فهو وحده - فى ذاك الوقت - الذى يسير على نهجه ويتبع هداه ويترسم خطاه

- قال عليه السلام - « بينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون ، فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به : إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم ، أجابوه : إننا ذرية إبراهيم ولن نستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحراراً ؟ أجابهم يسوع : الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » يوحنا ص ٨ .

فالسيد المسيح -عليه السلام- فضلاً عن تصحيحه لمفاهيم اليهود يوضح ويبين معنى الحرية ، مفهومها الحقيقى الذى هو غير ما يعرف اليهود ، وما يرسخ فى أذهانهم ، فيبين لهم أن مجرد الإنتساب إلى أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يعطى الحرية ، وإنما الحر هو الشخص الذى يتحرر من الخطية ويرتفع على أهواء نفسه ولتوضيح ذلك يقول لهم :

« فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً ، أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم ، لكنكم تطلبون أن تقتلونى ، لأن كلامى لا موضع له فيكم ، لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم . أنتم من أب هو إبليس » يوحنا / ٨ .

نعم لقد لخص السيد المسيح - عليه السلام - حقيقة اليهود فى هذه العبارة الموجزة فأبان هذه الحقيقة فى يسر وسهولة ، وهل اليهود إلا هكذا ؟!!

« قالت له إمرأة - طوبى للبطن الذى حملك والثديين الذين رضعتهما ، أما هو فقال : « بل طوبى للذين يسمعون كلان الله ويحفظونه » ويضرب المسيح للناس مثلا لعلهم يعقلون ، فقال :

« كان إنسان رب بيت غرس كرما واحاطه بسياج ، وحضر به معصرة ، وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار ، أرسل عبيده إلى الكرامين ، ليأخذوا ثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ، ففعلوا بهم كذلك فأخيرا أرسل إليهم إبنه قائلا : يهابون إبنى . وأما الكرامون فلما

رأوا الإبن ، قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث ، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمتى جاء صاحب الكرم ، ماذا يفعل بأولئك الكرامين ، قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع :

« إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه » متى ص ٢١ .

صحيح أن اليهود من ذرية إبراهيم ولكنهم ليسوا أولى الناس به ، وعلى فرض أنهم أولى الناس به أما كان الأجدر بهم أن يكونوا معه على أمر الله ، فيستمعون إليه ويتحملون مسئولية الإيمان بالله الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لأنه هو بعينه الذى أرسل به إبراهيم ، ولقى الله عليه ؟ ولكنهم أبداً لم يستجيبوا ، لأن قلوبهم غلف ، فأتبعوا هواهم ، ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله .

إنها روح التمرد والعصيان والعصبية على الإيمان والإذعان لنداء الحق ، فمضوا فى غيهم يعمهون ، وفى صدورهم عزم على شئ جديد .

إنه القتل ، وهذا ليس بالجديد عليهم فقد فعلوها مراراً وتكرراً حتى أصبح لاصقا بهم - القتلة - أليسوا هم قتلة الأنبياء .

كان هذا تفكير الكتبة والفريسين [1] ، ولكنهم فكروا فى العاقبة « وخافوا الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى» متى/ ٢١ ، إذا لابد من البحث عن وسيلة أخرى ، ولن تعوزهم ، أليسوا أبناء إبليس - كما وصفهم السيد المسيح - ؟ فأبتدعوا سلاحا آخر غير معروف فى ذاك الزمان ، وهو سلاح التضليل والتشكيك والتعجيز حتى يضعوه فى موقف حرج ، وتصبح دعوته مشكوكا فيها ، ونبوته إدعاء وأكاذيب .

« جاء إليه صدوقيون ، الذين يقولون : ليس قيامة ، فسألواه قائلين يا معلم ، إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بأمرأته ويقيم نسلا

(١) الفريسيون هم المحافظون على الشريعة والمتمسكون بالتقاليد الحرفية .

لأخيه .. فكان عندنا سبعة أخوة ، وتزوج الأول ومات وإذا لم يكن له نسل ترك إمرأته لأخيه .. وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً .. ففى القيامة . لمن من السبعة تكون فإنها كانت للجميع ؟ فقال لهم : « تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء » متى / ٢٢ .

لقد ظنوا أنهم بسئوالهم هذا قد أفلحوا بالتضييق عليه أو احرجوه حيث يدعى النبوة ، وما ظنوا ولا علموا أن روح الله معه تهديه وتسدد خطاه وتعطيه الجواب المناسب فى الوقت المناسب .

ثم أن المسيح لم يشأ أن ينهى معهم هذا الجدل قبل أن يكيل لهم بنفس الكيل ، ليكون الجزاء من جنس العمل ، إذ سألهم قائلاً :

« ماذا تظنون فى المسيح . إبن من هو ؟ قالوا له : إبن داود .

قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلاً ؟ قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطئا لقدميك . »

فإذا كان داود يدعوه ربا فكيف يكون إبنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » متى/ ١١ .

وبذلك فسدت ، بل إنهارت خطتهم الماكرة ، وسقطوا فى ذات الحفرة التى حفروها ، لأن الفشل سيظل حليفهم ، إنها سنة الله فيهم . بحثوا فى جعبتهم عن سلاح آخر فلم يجدوا إلا سلاح السياسة لماذا لا يحاولون أن يوغروا صدر السلطان عليه ؟ ربما تفلح هذه المكيدة فينالون ما يسعون من أجله ، ويجنون ما يزرعونه من حقد وضغينة وكراهية .

قال له واحد منهم : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث ، فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكم قاضيا ومقسما » لوقا ١٢ .

قالوا له : يا معلم : هذه إمرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم ، فماذا تقول أنت؟ قالوا هذا ليجربوه لكى يكون لهم ما يشتكون عليه ، فلو قال إرجموها لا قام من

نفسه واليا وتكون النتيجة صدام بالسلطة السياسية ، وإن قال : إتركوها ، فهو ينقض شريعة موسى وهو القائل : ما جئت لأنقض التوراة : وهنا تكون الواقعة ، وقد ظن اليهود بهذا أنهم أوقعوا المسيح فى الفخ أو وضعوه بين فكى الرحى ، فأى الحكمين له نتائجه ، إما أن يصطدم بالحاكم ، أو يغضب الجماهير ، وأى حل من الأثنين فيه سعادة لليهود وتحقيق لمآربهم .

ولكن السيد المسيح يرسلها كلمة باقية ، ولكنها نابعة من واقعهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » يوحنا / ٨ .

إنها صفعة أو طلقة بارود أو قذيفة مدوية أدارت رؤسهم وتركتهم فى حالة إنعدام للوزن ، فقدوا فيها الإحساس بكل شئ ولو لفترة ، فيمضى الجمع من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، تجلله أمارات الخزى وتظلله حمرة الخجل ولكن : هل يخجل اليهود حقا ؟ أبداً ، ولكنها حالة عارضة .

أما المرأة موضوع السؤال فبقيت تترقب منه كلمة يمسح بها ما علق من عذاب وتشفى حتى ولو كانت مذنبة ، قال لها :« إذهبى ولا تخطئ أيضاً » .

ذهب إليه الفريسيون وقالوا له : يا معلم « نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر وجوه الناس، فقل لنا ما تظن، أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا .. فعلم يسوع خبثهم » ولكنه الخبث الذى يسوقهم سوقا فى حياتهم فيغرس لهم الطريق إلى الهاوية فيتردون فيها ، ولا غرابة فهم أرباب المؤمرات وفرسانها . ولكن السيد المسيح لم يكن من الصعب عليه الكشف عن هذه النوايا أو فهم المراد منها ، فقال لهم : « لماذا تجربوننى يا مراؤون ، أرونى معاملة الجزية ، فقدموا له دينارا ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ، قالوا له : لقيصر فقال لهم : اعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » متى ص ٢٢.

أجل : لم يصعب عليه أن يحطم الشرك السياسى الذى ينصبونه له ليسمعوا منه إشارة بإعطاء الجزية، أو بعصيان الدولة، وأراهم أنهم يتعاملون

بنقود قيصر ويكنزون منها الثروة والمال، فلماذا لا يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله » عباس العقاد / عبقرية المسيح .

إنها مقتطفات من حيل والاعيب اليهود لم ينج منها أحد ، وسعوا فى الأرض فساداً يلبسون على الناس بأباطيلهم وأضاليلهم ولكنهم فى النهاية يرجعون خائبين خاسرين . ولن يفلتوا إذن أبداً .

ويقص سفر أخبار الأيام الأول أن داود جمع رؤساء إسرائيل ورؤساء الفرق الخادمين الملك ، ورؤساء الألوف ورؤساء المئات ووقف على رجلين ، وخطب فيهم قائلاً : إسمعونى يا أخوتى وشعبى كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهد الرب ، ولموطئ قدمى إلهنا ، وقد هيأت للبناء ، ولكن الله قال لى : لا تبن بيتا لأسمى لانك أنت رجل حُروب وقد سفكت دماء ، وقد إختارنى الرب إله إسرائيل من كل بيت أبى ، لأكون ملكا على إسرائيل إلى الأبد ، لأنه إختار يهوذا رئيسا ، ومن بيت يهوذا بيت أبى .. وقال لى إن سليمان إبنك هو يبنى بيتى ودياري لأنى إخترته لى إبنا وأنا أكون له أبا وأثبت مملكته إلى الأبد ، وإذا تشدد للعمل حسب وصاياى وأحكامى كهذا اليوم ... وأنت يا سليمان إبنى ، إعرف إله أبيك واعبده بقلب كامل ونفس راغبة ، لأنه الرب يفحص جميع القلوب ويفهم كل تصورات الأفكار ، فإذا طلبته يوجد منك ، وإذا تركته يرفضك إلى الأبد ، إنظر الآن ، لأن الرب قد إختارك لتبنى بيتا للمقدس ، فتشدد واعمل » أخبار الأيام الأول إصحاح ٢٨.

وقال داود الملك لكل الجمع : إن سليمان إبنى صغير وغض ، والعمل عظيم ، لأن الهيكل ليس لإنسان ، بل للرب الإله ، وأنا بكل قوتى هيأت لبيت إلهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجارة الجزع وحجارة الترصيع ، وحجارة كحلاء ، ورقماء ، وكل حجارة كريمة ، وحجارة الرخام بكثرة ... وقال داود لسليمان إبنه تشدد وتشجع وإعمل لا تخف ولا ترتعب لأن الرب إلهى معك لا يخذلك ولا يتركك حتى تكمل كل عمل خدمة بيت الرب وهو ذا فرق الكهنة واللاويين لكل خدمة بين الله ومعك فى

كل عمل كل نية يحكمه لكل خدمة والرؤساء وكل الشعب تحت كل اوامرك » ثم يحث داود الشعب أن يباركوا الرب إلههم ، وأن يسهموا بما يستطيعون من مال فى بناء هذا الهيكل .

ويقال إنهم تبرعوا بخمسة آلاف وزنة من الذهب ، وبضعفها من الفضة، وبكل ما يحتاج إليه الهيكل من الحديد والحجارة .

وقد جاء ذكر ذلك تفصيلاً فى الاصحاح التاسع والعشرين من أخبار الملوك الأول .

* * *

سليمان يبنى بيتا للرب
أو هيكل سليمان

قام سليمان - عليه السلام - ببناء الهيكل الذى تورد عنه المراجع اليهودية وصفاً مفصلاً بما يحويه من أروقة وبيوت وخزائن وغرف ومخادع وقد جاء ذكر ذلك مفصلاً فى سفر الملوك ، حيث جاء بوصف تفصيلى لهذا الهيكل وخصوصاً فى الإصحاح الثالث من أخبار الملوك الثانى .

« فبنى سليمان البيت وأكمله ، وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه من الداخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله المحراب أى قدس الأقداس ، وهيأ محراباً فى وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، وأقام تمثالين لملكين بحرسان قدس الأقداس ، ونغشى المحراب بذهب خالص ، ونغشى المذبح بأرز وحشى سليمان البيت من الداخل بذهب خالص ، وسدَّ بسلاسل ذهب قدام المحراب » .

وفى قصة الحضارة لديورانت يقول : إن طرز الهيكل هو الطرز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر، وأضافوا إليه ما أخذوه عن الأشوريين والبابليين من ضروب التزيين ، ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح ، بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة ، ولم يكن بناؤه الرئسى

كبير الحجم ، فقد كان طوله حوالى مائة واربع وعشرين قدما وعرضه حوالى خمس وخمسون وإرتفاعه حوالى إثنين وخمسين » أما بناة الهيكل فقد جلبهم سليمان من حليفه ملك حيرام ، إذ كان اليهود لا يعرفون فن العمارة والهندسة ، وكانوا كذلك يجهلون الوان الفنون الأخرى، لبداوتهم، لأن موسى - عليه السلام - حرم عليهم التصوير والنحت حتى لا يخلقوا أشياء تناظر ما خلقه الله ، ويقول ول ديورانت أيضاً :

« يعد بناء الهيكل أهم الأحداث فى ملحمة اليهود ، فإنه لم يكن بيتا ليهَوَه فحسب ، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود ، وعاصمة لملكهم ، ووسيلة لنقل تراثهم ، وذكرى لهم ، يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض ، ولقد كان له فوق ذلك شأن فى رفع الدين اليهودى من دين بدائى متعدد الألهة إلى عقيدة راسخة غير متسامحة » قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٨ .

ولما تم بناء الهيكل ، جمع سليمان شيوخ بنى إسرائيل ، وحمل الكهنة تابوت عهد الرب ، وأدخلوه إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس تحت جناحى الكروبين » الملوك الأول ٨ : ١ - ٦ .

وأصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذى تقدم عنده القرابين ، وكانت القرابين من قبل ذلك تقدم لرب إسرائيل فى هياكل محلية ، أو هياكل ساذجة فوق التلال » الملوك الأول ٣ : ٢ .

ودخول الهيكل لم يكن مباحاً للجميع ، وإنما كان مقصوراً على الكهنة أما قدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة فى العام ، ولا يدخله إلا كبار الكهنة » .

وكان الكاهن الأعظم يختار من أعظم فروع أسرة ليفى ، وبهذا يضفى على جماعته مجداً وعظمة .

أما القرابين التى تقدم فى هذا المعبد ، فكانت تشمل الضحايا البشرية. إذ الإنسان يقدم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمار، وإستمر الأخذ بهذه

العادة فترة طويلة إمتدت إلى عهد الإنقسام ، حيث قدّم الملك آحاز إبنه قربانا للآلهة » الملوك الثانى ١٦ : ٣ .

ثم إكتفت الإلهة بجزء من الإنسان، بدلا من أن يضحى بالإنسان كله .

وكان هذا الجزء هو ما يقتطع فى عملية الختان ، وقد بقيت عملية الختان رمزاً للتضحية ، وبقى مع جزء الختان الحيوان والثمار ، فأصبح يضحى بالبقر والخراف وبواكير الثمار ، تحرق أمام المعبد ، مع الجزء الذى يقتطع فى الختان ، وكانت القرابين عبارة عن هدية يتقرب بها الشخص للإله رجاء قضاء حاجة يريدها ، وكانت أحياناً للشكر والإعتراف بعون حصل عليه الشخص قبل تقديمها .

يقول ول ديورانت : « ويذكر الباحثون أن تقديم القرابين كان مرحلة من مراحل الرقى عند اليهود، فقد كانوا من قبل يلجأون للسحرة والعرافين، ولكن الكهنة قاوموا هذا الاتجاه فيهم ، ودعوا الناس إلا يعتمدوا إلا على قوة واحدة هى قوة القربان والصلوات والتبرعات ، وكان المعتقد أن القرابين تكفر ذنوب الناس ، وتمحو خطاياهم إذا باركنها يد الكاهن » .

وكان بعض بنى إسرائيل يثورون أحياناً على الطقوس والقرابين والعبادات الشكلية التى تقام فى المعبد وكانوا يرون أن هذه لا تخدم الشعب أو العقيدة ولكن هذا البعض كانوا أقلية بحيث لم يسمع لهم ، وظلت الأكثرية على حالها طوال فترة تاريخهم ، وربما ساعد على بروز تلك الأقلية الرافضة تبادل التكذيب والتحقير والسخرية بين معبد ومعبد ، وخصوصاً فى المنافسات الشديدة التى تقع بين كهنة المعابد ..

ومما ساعد على إضعاف سلطة الكهنة (قيام المركزية الدينية ببناء الهيكل) ووضع التابوت به، إذ انصرف الناس فى عبادتهم إلى الهيكل ووضعوا فيه كل آمالهم الدينية إذ أصبح هناك معبد واحد، ومجموعة واحدة من الكهنة تقوم على أمر هذا المعبد، فكان أن نظر باقى الكهنة فوجدوا أنفسهم قد فقدوا كل ما كان لهم من هيبة وسلطان، وصاروا بمعزل

عن عامة الشعب ، فكان أن تولد فى نفوسهم شئ من التمرد ، فحقدوا على القـائمين علـى أمـر المعبـد ونظروا إليـهم على أنـهم فى مـرتبـة تعلوهم بين الشعب فكان أن أطلق كل منهم ، الإشاعات ضد الآخر، فى محاولة لإضعاف هيبتهم، وزلزلة مكانتهم، وأسبغ كل فريق على نفسه من الصفات ما يجعله أفضل من الآخر ، وتمادوا حتى أنهم وضعوا أنفسهم بين الشعب وبين الله ، وأن الطريق إلى الله لابد أن يمر عليهم وإلا ضلوا ، ولن تقبل توبة أو قرابين ما لم يباركها الكهنة لانهم زعموا وموهوا على الشعب أن مفتاح السماء بأيديهم ، وحتى دخول الجنة أو النار - لابد أن يكون عن طريقهم ،

وفـى الحـقـيـقـة لقد اسرفـوا وأفـرطوا فـى التـحكم فـى مـصـائـر الشعوب وتمادوا فى غيهم حتى ظنوا أنفسهم مالكين للحياة ، أى أن الحياة لابد أن تبدأ بهم وتنتهى بهم ، وزعـموا أنهم يـعملون لصـالح الشـعب الذى يعتبرهم منقذيه ، نعم لقد أذاعوا ذلك بين العامـة والخاصة حتى طغت دعاويهم على الحقيقة التى ضجت بالشكوى منهم ومن أكاذيبهم فكانت هذه التـصرفـات وتلك الأوهام من أهم العـيـوب وأبرز المثـالب التى جاء السيـد المسيح - عليه السلام - لمحاربتها وتصحيح المفاهيم لدى الناس وإنقاذهم من هذا التـوهان المدمر ، وإن كـان هذا لم يدم طويلاً ، إذ جاء القسس بعد المسيح - عليه السلام - بهذه المخازى . وأكثر منها ومثلوا نفس الدور الذى مثله كهنة اليهود »[1] .

***

(١) أنظر اليهودية للدكتور أحمد شلبى .

جاء فى سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح الثانى والعشرين والإصحاح الثامن والعشرين ما يؤكد عصمة داود وبره وحبه لله ولبيت الله مع أن نفس التوراة تناولت نبى الله داود تناولاً معيباً ، وذكرت عنه ما لا ينسب إلا لحثالة البشر ، وقد سبق أن ذكرنا ما أوردته بشأن إمرأة أوريا الحثى . التى ما إن سمعت أن زوجها قد مات بفعل داود . الذى أمر أن يزج به فى أول الصفوف حتى يكون موته محققاً ، فلما تحقق ذلك ندبته، ولما مضت المناحة ، أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة وولدت له إبنا هو « سليمان » ... وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب » أى أن - سليمان - عليه السلام - ولد زنا ، فهل يليق بنبى من الأنبياء أن يفعل ذلك ؟

إن داود - عليه السلام- كان إذا قرأ الزبور تكف الطيور عن الطيران، وتقف على الأغصان والأشجار فترجع بترجيعه وتسبح بتسبيحه ، داود عليه السلام - الذى قال فيه محمد رسول الله ﷺ : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود واحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » .

تقول نفس التوراة على لسان داود - عليه السلام - « طوبى لأناس عزهم بك طرق بابك فى قلوبهم » مزمور ٨٤ : ٥ .

وقال : « فرحت بالقائلين لى : إلى بيت الرب نذهب ، تقف أرجلنا فى أبوابك يا أورشليم » مزمور ١٢٢ : ١ ، ٢ .

هذا هو داود العابد الأمين لله ، هيأ لبناء بيت لله ، تقول التوراة «وأعطى داود سليمان إبنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه ولخزائن بيت الله وخزائن الأقداس » إستراح سليمان من كل أعدائه بفضل حماية فرعون مصر له ، وأخذ فى بناء بيت الرب ، مستعينا بالخبرة المصرية العريقة ، فكان إليه كلام الرب « كلام الرب إلى سليمان قائلاً : هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى

وحفظت كل وصاياى للسلوك بها ، فإنى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك ، واسكن فى وسط بنى إسرائيل ولا أترك شعبى إسرائيل » الملوك الأول ٦ : ١١ - ١٣ .

« ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل ، وبسط يديه إلى السماء وقال : أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك ، لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه إيها الرب إلهى وإسمع الصراخ والصلاة التى يصليها عبدك أمامك اليوم لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً على الموضع الذى قلت إن إسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع وإسمع تضرع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلون فى هذا الموضع وإسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء وإذا سمعت فاغفر » أول ٨ : ٢٢ - ٣٠ .

فمن خلال صلاة سليمان وتضرعاته ، فإن بنى إسرائيل تعتبر هذا البيت قبلتهم ومنتهى آمالهم ورمزاً لسكنى الله فى وسطهم .

وتمضى الأجيال ، وتبلغ الحفاوة بالبيت إلى حد التقديس .

وفى عام ٦٧٨ ق . م ، فى عصر منسى ملك يهوذا ، بلغ الفساد ذروته فكان قول الله إلى المتكلين على الهيكل المعتزين بأنفسهم أنهم شعب الله . « وأمد الله على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت آخاب وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ويقلبه على وجهه وأرفض بقية ميراثى وادفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع اعدائهم لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج إباؤهم من مصر إلى هذا اليوم » الملوك الثانى ٢١ : ١٣ - ١٥ .

وقبل هذا وذاك نجد أن الله تعالى قد أعطى نبى الله لوطا فضائل فقال تعالى : ﴿ ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوما فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين ﴾ . فهذه

شهادة الله لنبيـه لوط : أوتى الحكمـة والعلم وهداه الله إلى مكان هو أهل لحكمتـه وعلمـه ، بعيداً عن الفسقـة من قومه الذين يأتون الذكران دون النساء ، ونال رحمة الله التى يهبها الله للصالحين من عباده ، وهو بعد ذلك من المفضلين على العالمين الذين عاصروه .

ومعنى الحكمة : وضع الشئ فى موضعه ، وقد أقتضت حكمة الله إختيار لوط - عليه السلام - لتحمل الرسالة لأنه أهل لها ، فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو أن يضع الرسالة بين يدى من يحسن تبليغها وتحمل تبعتها وممارسة شعائرها ، ولم يكن أبداً من ممارسة شعائرها ، الزنا كما يأفك الافاكون ويفترى المفترون أولئك الذين لعنهم الله بما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ، وإرتكبوا كل إثم عظيم .

نعم : هذا لوط -عليه السلام- الذى نزل به نفر من الملائكة، جاءوا فى هيئة الرجال، وقد أمروا بتدمير « سدوم » وهى قرية قوم لوط ، فلما حضروه ضاق بوجودهم ووقع فى حرج شديد ، لعلمه بما عليه قومه من خسة ودناءة وشر أصيل، وأنهم مرنوا على الفسق، وأصبحوا لا يخجلون من الجهر به فهم إذا علموا بوجود هؤلاء الضيوف عند لوط سوف تتحرك فيهم غريزتهم البهيمية وتتحكم فيهم، ثورتهم الشهوانية وسيلتمسون ضالتهم عند لوط ،

كبر على نفسه ألا يستطيع حماية أضيافه ، وزاد من حرج الموقف إنضمام زوجته إلى زمرة الفجرة الفسقة ، فكان أن أسرعت بإخطار من إستطاعت من القوم بوجود هؤلاء الأضياف عند زوجها لوط ، فهرعوا إلى لوط يطلبون ضيوفه لإتيان الفاحشة معهم ، وما كان لنبى من أنبياء الله الذين فطرهم الله على النقاء والطهارة أن يرضى بإرتكاب هذا الإثم .. فقال لوط مخاطباً هؤلاء الفسقة ، ومدافعا عن أضيافه شرهم .

« هؤلاء بناتي ، تزوجوهن ، فهن أطهر لكم ، وهذا هو الطريق السليم لعلاقة الرجل بالمرأة ، وهذا هو الأمر الذى أراد الله ، واتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى، فتهينونى وتفضحوننى في قومى بأشنع تقصير فى حق ضيوفى. أليس منكم رجل واحد رشيد يبصركم سوء فعلكم . كل هذا ونبى الله لوط

لا يعلم حقيقة ضيوفه وأنهم من الملائكة الذين جاءوا بأمر الله ليقلبوا القرية رأساً على عقب على جميع من فيها بعد إنجائه منها وأهله المؤمنين .

وضاع رجاؤه سدى، وذهب قوله أدراج الرياح، وعند ذلك كشف الملائكة عن حقيقتهم وبينوا له المهمة التى من أجلها أقبلوا فخففوا عنه وارحوا قلبه وأزاحوا عن صدره تبعة الحرج الذى جثم عليه .

ولكن هل يرضى اليهود بإبراز هذه الحقيقة فى توراتهم ، وهم الذين ناصبوا أنبياء الله العداء القاتل ؟ لنرى ماذا يقول المحرفون المخرفون وعلى رأسهم « عزراً » كما يقول « السموأل » الذى يكشف عن سر هذا التحريف والغرض منه .

«إن العداوة التى ما زالت بين بنى عمو وموآب ، وبين بنى إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل عن تلفيق هذا المحال ، ليكون أعظم الأحبار فحشا فى حق بنى عمو وموآب ، وخلاصة الأمر عند السمؤال أنهم زعموا - لعنهم الله - أن إحدى إبنتيه حملت فأنجبت «موآب» وتعنى التسمية أنه من الأب، والثانية حملت فى الليلة التالية ، فأنجبت « بنى عمو » وتعنى الكلمة أنه «من قبلهما » أى أن الولدين من زنا ، وأن من بنات « موآب » « ألوث » جدة داود .

ولعل هذا هو سرالطعن ، والغرض منه النيل من الرسولين المكرمين : لوط وداود - عليهما السلام - دفعة واحدة ،

وغرض المحرف المخرف « عزرا » من ذلك ألا يتولى الملك على بنى إسرائيل إنسان من بيت داود ، فأضاف إلى العهد فصلين طاعنين فى نسب داود -عليه السلام- وهما : قصة بنات لوط، وقصة تامان، يقول السموأل :

« ولقد بلغ - لعمرى غرضه » بذل المجهود ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

والإيمان الحقيقى إذا خالط القلب دفع صاحبه دفعا إلى قول الحق وإعلان الحقيقة فى أى مكان وزمان .

وهذا الحبر « السموأل » دفعه حسن إسلامه ، إلى الكشف عن تلك الجريمة التى لا تعادلها جريمة أخرى .

تاريخ بناء هيكل سليمان

تقول التوراة : « كان فى سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة للملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو ، وهو الشهر الثانى أنه بنى البيت للرب » أول ٦ : ١ .

« فى السنة الرابعة أسس بيت الرب فى شهر زيو وفى السنة الحادية عشر فى شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه فبناه فى سبع سنين » أول ١٦ : ٣٧ - ٣٨ .

لقد إستغرق بناء البيت إذن سبع سنين ، وبعد إتمامه أدخل تابوت الله .

وعند تدشين الهيكل بلغت حجم الذبائح من البقر ٢٢٠٠٠ ، ومن الغنم ١٢٠٠٠٠ ، تقول التوراة :

« ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا أمام الرب ، وذبح سليمان ذبائح السلامة التى ذبحها للرب من البقر إثنين وعشرين الفا ومن الغنم مئة الفا وعشرين الفا ، فدشن الملك وجميع إسرائيل بيت الرب» وبرغم هذه الصورة المشرقة ، فسرعان ما إنزوت وبهتت بل وتبدلت بصورة مذرية ، إذ رمى سليمان بأبشع واحط واخس ما يمكن أن يرمى به فرد من البشر، ناهيك بمن هو ملكهم وفوق هذا وذاك نبى من أنبياء الله ، وقد جاءت تفاصيل هذه المخازى والمساوئ مفصلة فى توراتهم فى سفر الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر من ١ - ١٣ والذى كان من شأنها غضب الله على سليمان .

« فغضب الرب على سليمان .. فقال الرب لسليمان . من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك » الملوك الأول ١١ : ٩ - ١١ .

***

هل اليهود شعب الله المختار حقا ؟

تورد التوراة بعض النصوص التى تلح على أن اليهود شعب الله المختار فهل هم حقا كذلك ؟ وما هى المسوغات التى تعطيهم هذا الحق ؟

إن المتعصبين من اليهود أو المتعصبين لليهود يؤكدون على هذه الحقيقة حتى باتت عندهم قضية مسلمة أو إعتقاد يقينى لا يقبل النقد أو النقض ، بل إن من ينكر هذا يعد كافراً عندهم وهناك عبارات إصطلاحية لدى اليهود يذكرونها دائماً للتدليل على هذا الاختيار ، وهى إصطلاحات تدعو إلى السخرية ، وترمى هؤلاء الناس بالسفه والسطحية وأنهم أبداً سيظلون أعداء الحقيقة كارهين للصدق على طول الخط حتى مع أنفسهم .

فهم يقررون أنه عندما تجلى الله لموسى فى سيناء مع بنى إسرائيل ، تم زواج بين الله وبين إسرائيل ، وسجل هذا العقد بينهما ، وكانت السموات والأرض شهوداً لهذا العقد !!!

قال هذا التخريف ، الباحث آرثر هرتزبرج ما ترجمته :

هناك عدد من الأمثلة فى الأدب الإسرائيلى عما يعرف بعقد زواج بين الرب وإسرائيل فى وجود السماء والأرض كشاهدين .

وإمعانا فى التضليل والإستخفاف بعقول الشعب، فإن اليهود يرون أن هذه الأفضلية تضع على عاتقهم مسئولية كبرى وتكليفات عظمى يجب عليهم القيام بها، وأن التهاون أو التكاسل فى أداء هذه المسئولية سيجلب

عليهم غضب الرب أولا وهدفا للإنتقام ممن صدقوهم فى زعمهم هذا، ولذلك حشدوا فى توراتهم الكثير والكثير مما يعزز تفردهم إذ جاء فى توراة اليهود: « أنا الرب إلهكم الذى ميزكم عن الشعوب ، تكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » [١] .

« إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد إختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم ، وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم » [٢] .

« ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها » [٣] .

وصفحات التلمود تطفح بهذا الزيف المستفز ، وبها من المبالغات والمغالطات ما لا يخطر على العقل ، وهل من العقل أن الفرق بين اليهود وسائر البشر كالفرق بين الإنسان والحيوان ؟!!

وهل من المعقول والمقبول أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية الكريمة وأن أرواحهم من روح الله ، دون سائر الشعوب ؟!!

إنه التعصب الأعمى، والحقد الدفين، والتعالى المنفر، والصعود على سلم الأكاذيب والوهم القاتل الذى يعيش فيه اليهود ، ولعل من الأسباب القوية التى جعلت اليهود يؤمنون بهذه الخرافات ما جاء فى التلمود ، من إيحاءات سحرية عمقت هذه المفاهيم فى النفسية اليهودية، فعاشوا بها وعليها .

---

(١) سفر اللاويين ٢ : ٢٤ - ٢٦ .
(٢) سفر التثنية ٧ : ٦ - ٨ .
(٣) سفر التثنية ٧ : ١٢ - ١٤ .

ونحن لا نجافى الحقيقة إذا قلنا إن التلمود كتاب سحر بالدرجة الأولى والدليل على ذلك ما قاله معلم السحر عندهم « اليفاس ليفى » اليهودى إن التلمود أول كتاب سحرى » وقد جاء به من حيل والاعيب السحرة الكثير ، مثل إن أحد مؤسسى ديانة التلمود كان يستطيع أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل الآخر ، وكان يخلق كل ليلة عجلاً عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر ، وكانا يأكلان منه معا . وكان أحد الحاخامات يحيل الشمام والقرع إلى غزلان ومعيز .

وتأكيداً لهذا الأختيار كما يزعم اليهود أنه جاء فى التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله . كما أن الابن جزء من أبيه، ومن ثم كانت أرواح اليهود أعز على الله من باقى الأرواح لأن أرواح غير اليهود هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات .

« لا يدخل الجنة إلا اليهود ، أما النار فهى مأوى الكفار ، ولا نصيب لهم سوء البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين .. وسيظل المسلمون فى النار إلى الأبد، لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم، والمسيحيون لأنهم لا يختتنون .. وتكون الأمة اليهودية يومئذ فى غاية الثراء ، لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم » .

وهذه الأوهام ، والأحلام ، قلب لحقائق الأمور كما قلنا سابقا ، نشأت من تخيلاتهم الكاذبة ، فقد قلبوا حقيقة المسيح - عليه السلام - حال حياته ، وآذوه بسبب دعوته ، وسبوه سبا مقدعا فاحشا .

وقال الرابى « اليعاذر » : يتميز اليهودى عن باقى الشعوب بأفعاله الصالحة ، كما يتميز المغربى مثلا عن باقى الأمم بشكله وزيه .

هذه مقتطفات صارخة تؤكد على ما قلناه ونقوله من أن فكرة أو مقولة: شعب الله المختار إن هى إلا تصوير خاطئ لفكرة العقيدة عند اليهود ، هؤلاء القوم الذين تركوا النصوص الإلهية الموجودة فى الألواح ليمارسوا الحياة وفقا لتعاليم «التلمود » التى صبغت بصبغة الهوى الآف السنين حتى عهد ميلاد المسيح - عليه السلام - .

فهل عاد شعار « شعب الله المختار » على بنى إسرائيل بالخير ؟

لاشك أن هذه إحدى قضايا العقيدة ، التى تشكل أزمة فى عقيدة بنى إسرائيل الدينية ، وليس إلى خروجهم منها من سبيل ، مع أن المطلوب من الأديان بوجه عام أن تعطى حلولا لمشاكل الإنسان ، إنطلاقا من الفكرة القائلة بأن الأديان خلقت من أجل الإنسان ، فلابد أن تأخذ بيده وأن تدفع عنه الحرج .

ومع ذلك ، فإن هذه القضية التى تتعلق بعقيدة بنى إسرائيل ، كما تسببوا فيها بغباء منقطع النظير، هى وحدها التى تصدم المشاعر الإنسانية، أو تلتوى بالفكر الإنسانى حسب المزاج والهوى ، وإنما هناك معتقدات عدة تحار فى فهمها الألباب ، لأنها تأخذ برقاب الناس أخذا فى شتى أفرع الحياة إقتصاديا وإجتماعيا وسياسيا ، وكأنما أراد الله - جلت قدرته - أن يفضح هؤلاء الأوغاد على رؤس العباد، إذ لم تستطع السرية أو التمويه أو الأقنعة أن تخفى حقيقة أحبار بنى إسرائيل التى أفصحوا عنها رغما عنهم، فكانت بمثابة قنبلة إنفجرت دون سابق إنذار ، فكان لدويها أثرا زلزل كيان الوسط الاوروبى فأثارت ثائرته على اليهود ، وإستطاع أن يحدد فى وضوح مكانهم من الإنسانية، ومدى عداوتهم للبشرية فكان أن أسرعت بعض المجتمعات الأوربية تحتاط منهم ، وما كان لليهود أن يهدأوا أو يكفوا ، ولكنهم فكروا وقرروا أن يعملوا شيئا يكون كافيا لإمتصاص سخط العالم عامة ، وأوربا بوجه خاص، إذ أن مخططهم يعتمد -فى بعض مراحل تنفيذه- إلى إستثارة رحمة الناس ، وإستدرار عواطفهم ، وقد صدقتهم بعض الشعوب فتعاطفت معهم بل وقفت بجانبهم فى بعض مراحل أزماتهم حتى تحول إلى مجتمع غاب عنه إحترام الرأى العام كحارس على الأخلاق والأفكار فتحول إلى غابة تحكمها احقاد وأطماع ، فما هو مبرر الأختيار وما هو السند المقنع الذى يستندون إليه فى هذا الزعم الكاذب؟ بل إن مجرد تصور هذا المجتمع الشاذ كافيا للفرار منه والبعد عنه، ولكن ما الحيلة مع هذا لشعب الذى جاء لعنة على باقى الشعوب، وأينما وليت وجهك وجدت له أذنابا وصنائع، بدافع

الإغراء أو الإثراء أو الترهيب والترغيب ، لأنهم لم يستطيعوا أن يتعاملوا مع الناس بالطرق الطبيعية لأنهم لا يعرفونها ، وإذا عرفوها أنكروها ، وعدوها نوعا من الترف الإنسانى الذى لا يؤمنون به .

عجبا لهذا الهرج الذى لا يستحق حتى مجرد النظر فيه فضلاً عن قراءته ، لأنه من قبيل الخرافات ، والأساطير المغرقة فى الجهالة والتجهيل .

إن قواعد المنطق تقول : إن صحة مقولة ما تتحقق - على الأقل بتحقيق شرطين متلازمين متعاقبين : .

الشرط الأول : ألا تتناقض المقولة مع نفسها (فيحدث توافق داخلى) .

الشرط الثانى : ألا تتناقض المقولة مع حقائق المقولات الأخرى (فيحدث توافق خارجى) .

وبناء عليه : فإن عدم تحقق الشرط الأول ، يعتبر كافيا للطعن فى صحة المقولة برمتها ، ويجردها من عناصر تفاعلها مع مقومات الحياة ، وهذا ينطبق تماما على قضيتنا التى نحن بصددها ، وهى مقولة إن اليهود شعب الله المختار . ، لأن مقومات الأختيار لابد أن تتوافر كى يستحق هذا الشعب هذه الأفضلية، وهذه العناصر، أو الشروط قد حددها الله لبنى إسرائيل حتى ينعموا برضائه عنهم، فلما جحدوا هذه النعمة، وأنكروها، وإخططوا لأنفسهم نظاما خاصا ، بعيداً كل البعد . عن الإعتراف بوحدانية الله وطاعته ، بل وبسطوا السنتهم بالسوء من القول فى حق الذات العلية ، كان من الطبيعى أن يسلب الله منهم هذه النعمة ، ويحرمهم من رضائه عنهم ، بل ويتوعدهم بالعذاب الأليم ، إنها نتيجة طبيعية ، ولا يظلم ربك أحدا .

ولأن كل دعوة - أيا كانت هذه الدعوة - لا تخدم بعض المناصرين لها المدافعين عنها الذين يعرضونها فى مظهر له بريق وسحر ، يخفيان ما تحته من باطل وزيف ، مثل ما تعرض الكاتبة اليهودية الصهيونية : « ترود فايس روز مارين » التى تشربت التعاليم اليهودية حتى سرت فى دمائها ، وتشبعت بها حتى اضحت جزءاً من كيانها ، تقول هذه اليهودية المتعصبة ،

في هذا المجال . وهو فكرة اليهود كشعب الله المختار .

« إن جميع الكتاب منذ عهد الرومان إلي العصر الحالي، سخروا من فكرة الاختيار وتذكر منهم أخيراً : برنارد شو ، وولز ، الذين شبها هذه الفكرة بخرافة « التميز الآرى » - أي تميز الدم - وهي بطبيعة الحال تنكر أن تكون فكرة الاختيار قائمة على تميز عنصرى ، وتقرر أنها قامت على أساس الثروة الروحية الدينية للشعب اليهودى، أى على أساس الشريعة التى أعطاها الله لموسى فى صحراء سيناء ، « فى أرض لا يملكها إنسان » للتأكيد بأنها يمكن أن تكون ملكا لكل من يريدها ، وبأنها فى متناول الناس جميعا ، فكل من آمن بها فهو مختار ، سواء فى ذلك أن يكون الشخص قد ولد من أبوين يهوديين ، أو إعتنق اليهودية بعد ذلك .

وتمضى الكاتبة فى تفائلها الحالم فتقول : لا نسلم بالوضع الراهن للبشرية الذى يقضى بأن الشعوب التى لم تظفر فى الأختيار ، ستظل منبوذة ، لأنها تؤمن أن البشر جميعا سيرون فى نهاية الأمر الحقيقة أى سيتحولون إلى الإيمان باليهودية ، ومن ثم كان على اليهود فى كل جيل أن يقوموا - كما ورد فى سفر أشعيا - بالتزام هداية الشعوب إلى الاختيار .

وتأخذ الكاتبة على الكاتبين : شو وولز ، أنهما لم يستطيعا أن يريا فى مفهوم الاختيار اليهودى، سوى العجرفة والصلف، ولا تترك الفرصة تمر دون تجريح الكاتبين فى وطنهما (إنجلترا) بمثل ما أصاب اليهود على أيديهما ، فتقول : لعل مرد ذلك إلى ما تزعمه القومية البريطانية من تفوق بريطانيا على أهل المستعمرات ، وأن الإختيار ليس إمتيازا بقدر ما هو التزام ، وتضرب لذلك مثلا له تفسير خاص عندها وهو الترويج لفكرتها وهو : بما أن قوانين البحر ، وآدابها تفرض على قائد السفينة الغارقة أن يكون آخر من يغادرها ، لأن الاختيار للقيادة ، يفرض عليه التميز على أقرانه جميعا، من حيث الشجاعة والتضحية، وضبط النفس ، فكذلك أيضاً دور إسرائيل ، بوصفها المشرفة على الشعوب التى - حتى اليوم - لم تصل فى تقدمها إلى معرفة الله كما كشفت عنه الشريعة ، ومن ثم يدرك اليهود

بوصفهم أوصياء على الشريعة ، يدركون على نحو دقيق جداً ، مدى التزامهم بالنسبة لبقية البشر .

وتمضى الكاتبة فى تفكيرها الخرافى فتقول : إن اليهود يؤمنون بأنه مادام الله قد إختارهم لغرض واضح ، فإن ذلك ينطوى على علاقة متبادلة بين الله - عز وجل - وإسرائيل ، قطع فيها اليهود من جانبهم عهداً لله بطاعته ، وقطع لهم من جانبه عهداً باختيارهم ، وهذه العلاقة المتبادلة بين الله واليهود علاقة متكافئة وعلى قدم المساواة بينهما تماما ، فالله وإسرائيل شريكان فى العهد ، لأن حاجة الله إلى طاعة إسرائيل وولائهم له ، لا تقل عن حاجتهم إلى شريعته .

وتردد الكاتبة بهذا الصدد ، ما قاله إسرائيل زانجويل ، أحد أحبار اليهود ، من أن «الشعب المختار هو أيضاً شعب قد إختار» ويزعم الميدراش (أقدم تفسير للتوراة عند اليهود) أن الله عرض الشريعة على شعوب أخرى قبل عرضها على إسرائيل ، فلما رفضتها ، قدمها لإسرائيل ، التى كانت من اللهفة على قبولها ، بحيث اعلنت مراعاة أحكامها حتى قبل أن تعرف مضمونها [١] .

على كل حال أعتقد أنه فى ضوء هذه النصوص قد تبين الغث من السمين ووضح الرشد من الغى ، وبقى على أصحاب العقول الرشيدة أن يوازنوا ويعدلوا ، وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح .

***

(١) التراث اليهودى الصهيونى للدكتور صبرى جرجس .

حقيقة لابد منها

مصر وبنى إسرائيل تاريخا

من واقع التاريخ الفرعونى المسطور فى إمهات الكتب ، ومن خلال النقوش على جدران معبد الكرنك بالأقصر من دراسات دقيقة موضوعية فى الكتاب المقدس ، ومن خلال قاموس الكتاب المقدس ، وغير ذلك من المصادر التاريخية نستطيع أن نؤكد أن فلسطين كانت ولاية مصرية ، وفى عهد « سليمان » كانت وحدة سياسية فى نطاق مجموعة الولايات المصرية :

فعلى أثر إنتصار « أحمس » مؤسس الأسرة الثامنة عشر على الهكسوس الذين حكموا الدلتا من عام ٢٧٨٨-١٥٨٠ ق.م ، أى من الأسرة الثالثة عشر حتى الأسرة السابعة عشر ، وطردهم من البلاد ، كان لابد من تأمين الجبهة الشرقية لمصر ، الأمر الذى دعا ملوك مصر إلى السيطرة على فلسطين ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فلسطين خاضعة تماما لمصر .

جاء فى سفر التكوين :

« لئن قال يوسف لأخوته فقد ارسلنى الله قدامكم ليجعل لكم بقية فى الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة » تكوين ٤٥ - ٧٠ .

فإن مصر إدخرها الله ليجعل لإبراهيم ويعقوب بقية فى هذا الصدد

« وحدث جوع فى الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع فى الأرض كان شديداً » تكوين ١٢ -

وعن «يعقوب» قالت التوراة :

« فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا ، لأن الجوع كان فى أرض كنعان » تكوين ٤٢ : ٥

« وكان الجوع شديداً فى الأرض » تكوين ٤٣ : ١

فقام يعقوب من بئر سبع ، وحمل بنو إسرائيل يعقوب آباهم ، وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى ارسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم ومقتنياتهم الذى إقتنوا فى أرض كنعان ، وجاءوا إلى مصر ، يعقوب وكل نسله معه ، بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » تكوين ٤٦ : ٥

فرعون مصر يكرم يعقوب :

« فكلم فرعون يوسف قائلاً : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض . أسكن أباك وإخوتك ، ليسكنوا فى أرض جاسان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذووا قدرة ، فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى » تكوين ٤٧ : ٥ ، ٦

وجاء فى سفر الشريعة تذكير بفضل مصر عليهم : « ثم تصرح وتقول أمام الرب إلهك . أرميا تائها كان أبى فانحدر إلى مصر ، وغرب هناك فى نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة » تثنية ٢٦ : ٥

وجاءت الوصية صريحة فى قولها :

« لا تكره ادرميًّا لأنه أخوك ، لا تكره مصريا لانك كنت نزيلا فى أرضه ، الأولاد الذين يولدون لهم فى الجيل الثالث يدخلون فهم فى جماعة الرب » تثنية ٢٣ : ٧ ، ٨

لقد قامت الصلة بين مصر وما كان بجاورها شرقا من الأقطار الآسيوية وغربا من الأقطار الأفريقية ، وكذلك جنوبا من الأقطار الأفريقية أيضاً ، وذلك منذ العصور السابقة على التاريخ ، وظلت تتوثق هذه الصلة ، حتى

بلغت ذروتها فى عصر الأمبراطورية المصرية، عندما انفتحت مصر على تلك الأقطار، وتبادلت معها أنواع التجارة ، والوان الثقافة ، وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة، وإنتهى الأمر بعد فترة من الزمان إلى إخضاع هذه الأقطار والسيطرة عليها، ودمجها فى دولة واحدة يجلس على عرشها فرعون.

ففى آسيا ، كانت الصلة بين مصر ولبنان قائمة منذ أقدم العصور وكان هناك طريق برى يصل بين مصر وفلسطين عبر صحراء سيناء .

وكان فراعنة مصر ، منذ أقدم العصور يهتمون أعظم الإهتمام بتأمين ذلك الطريق ، حتى لقد إضطروا فى عهد الاسرتين : الخامسة والسادسة إلى غزو بعض المدن الفلسطينية والإستيلاء عليها ، لكفالة الطمأنينة اللازمة للقوافل المصرية فى ذهابها وإيابها، وكانت المدن السومرية الواقعة فى منطقة ما بين النهرين (العراق الآن) تتطاحن فيما بينها منذ عام ٢٨٠٠ ق.م حتى تمكن سرجون الأكدى أن يسيطر عليها فى عام ٢٣٥٠ ق.م . ويؤسس أول إمبراطورية سامية فى التاريخ التى إنهارت بعد قرنين من الزمان لتقع فريسة لشعوب غير سامية ظلت تحكمها حتى إنهارت بدورها لتظهر فى بلاد ما بين النهرين ، الأسرة البابلية الأولى ١٨٠٣ ق م التى بلغ عصرا من الرقى الفكرى فى عهد حمورابى فى عام ١٧٢٨ ق م وكان هذا معاصرا للدولة الوسطى فى مصر .

وقد حدث فى أواخر عصر الدولة الوسطى بمصر، أن نزحت بعض شعوب آسيا إلى بلاد الشرق الأوسط ، وكان من شأن ذلك أن سقطت مصر تحت وطأة الهكسوس ، أو الرعاة ، وإمتد نفوذهم على الدلتا من عام ٢٧٨٨ - ١٥٨٠ ق . م .

ولم تكن مصر قبل ذلك التاريخ تعرف مرارة الخضوع لمحتل أجنبى وإنما كانت تعيش داخل حدودها فى طمأنينة وأمان ، فكان أن تعلمت مصر من هذه المحنة درسا قاسيا لا يمكن نسيانه ، وأدركت أنها لا يمكن أن تنعم بالحرية ما دامت قوى الشر من حولها تحاول أن تطبق عليها وتطبق الخناق من حولها لإخضاعها وإذلالها .

وما كان لمصر أن تستسلم أو تستكين أو تخضع أو تلين .

فما أن واتتها الفرصة ، حتى ثارت على الهكسوس ، وأعلنت الحرب عليهم ، وقهرتهم وطردتهم ، وطهرت البلاد من رجسهم إلى الأبد .

مصر وسيطرتها على فلسطين وبنى إسرائيل :

عصر إبراهيم - عليه السلام - :

تقول التوراة : « وحدث جوع فى الأرض ، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً » تكوين ١٢ : ١٠

« فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وإمرأته وكل ما كان له »

فمن هو فرعون مصر المعاصر لإبراهيم ؟

نزل إبراهيم إلى مصر، وكان الهكسوس يسيطرون على الوجه البحرى، ومن هؤلاء من يسمى «سالا تيس» رأس الأسرة الخامسة عشرة، وهذا الإقليم البحرى وفد إليه من الشرق إنسان غريب، إنه إبراهيم -عليه السلام- الذى زار مصر حوالى عام ٢٠٨١ ق.م ، ذلك العام المعاصر للملك سالا تيس الذى أحسن وفادة إبراهيم وإكرامه .

يوسف فى مصر :

«أما يوسف -عليه السلام- فأنزل إلى مصر، وإشتراه فوطيفار، خصى فرعون ، رئس الشرط ، وهو رجل مصرى من بدو الإسماعيلية الذين أنزلوا إلى هناك ، وكان الرب مع يوسف ، فكان رجلا ناجحا وكان فى بيت سيده المصرى » تكوين ٣٩ : ١ ، ٢

«وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلما » تكوين ٤١ : ١

« وكان فى الصباح أن نفسه إنزعجت ، فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها ، وقص عليهم فرعون حلمه فلم يكن من يعبره لفرعون » تك ٤١ : ٨

« فأرسل فرعون ودعا يوسف فأسرعوا به من السجن، فأجاب يوسف فرعون قائلاً : ليس لي الله مجيب بسلامة فرعون » تك ٤١ : ١٤ - ١٦ .

« فحُسن الكلام فى عينى فرعون وفى عيون جميع عبيده ، فقال فرعون لعبيده : هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ، ثم قال فرعون ليوسف بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك ، أنت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى إلا أن الكرسى أكون فيه أعظم منك » تك ٤١ : ٣٧ - ٤٠ .

فمن هو فرعون الذى جعل يوسف وزيراً له ؟

إن فرعون مصر المعاصر ليوسف أحد ملوك الهكسوس - وقد يكون أبوفيس من الأسرة الخامسة عشرة ، وفى أيامه نزل يعقوب وبنوه أرض مصر . وظل هذا الفرعون حتى وفاة يعقوب - عليه السلام - لفترة بلغت على الأقل ستة وعشرين سنة ، من عام ١٨٧٦ ق.م إلى ١٨٥٠ ق.م وهو خامس أو سادس ملوك الأسرة الخامسة عشرة .

بنو إسرائيل يعانون العبودية فى مصر :

تورد التوراة هذه الحقيقة التاريخية فتقول :

« ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدث حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لهم مدينتى مخازن فيتوم ورعمسيس » خروج ١ : ٨ - ١١ .

فمن هو فرعون الذى إستعبد بنى إسرائيل : ؟

إن أول مضطهد لبنى إسرائيل، هو ذلك الفرعون الذى أطلق عليه العبرانيون «الفرعون الظالم» وهو يتميز عن لاحقه المعروف « بفرعون خروج بنى إسرائيل من مصر » بأنه شرع فى إضطهاد بنى إسرائيل وإستعبادهم ،

وظل يضطهدهم طيلة حياته ، والمعتقد أن هذا الفرعون هو « أحمس » أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠ - ١٥٥٧ ق.م ، وفى عصره ولد سيدنا موسى عليه السلام - على الأرجح عام ١٥٧١ ق.م ، وتربى فى بيته » خروج ٢ : ١ - ١٠ .

غير أن بعض المحققين يرجحون أنه رمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشرة ١٣٥٠ - ١٣٤٠ ق.م .

عصر موسى - عليه السلام -

تقول التوراة : « وبعد ذلك دخل موسى وهارون ، وقالا لفرعون : هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبى ليصيروا لى فى البرية ، فقال فرعون من هو الرب حتى اسمع لقوله ، فأطلق إسرائيل، لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه ، فقالا : إله العبرانيين قد التقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف فقال لهما ملك مصر : لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله إذهبا إلى اثقالكما ، وقال فرعون : هو ذا شعب الأرض كثير وأنتما تريحانهم من أثقالهم » خروج ٥ : ١ - ٥

فمن هو الفرعون المعاصر لخروج بنى إسرائيل من مصر ؟

تقول بعض الروايات إنه إما أن يكون تحتمس الثالث ١٤٧٩-١٤٤٧ ق.م وقد أيد هذا الرأى « ويلكنسون » ، وفى رواية أخرى إنه منفتاح بن رمسيس الثانى ١٢٢٥ - ١٢١٥ ق.م ، كما يقول « بروجسن » إذ يقول إنه من المحتمل أن يكون فرعون الخروج المعاصر لخروج بني إسرائيل من مصر ذلك الفرعون الذى تعقب موسى وبنى إسرائيل بجيشه فى البحر، فأطبق عليهم البحر فماتوا غرقا ومات فرعون وقذفت الأمواج ببدنه على الشاطئ .

بنو إسرائيل فى فلسطين ، وفلسطين برمتها ولاية مصرية :

جاء فى التوراة ، بسفر الخروج ٢ : ٢٤ ، ٢٥ .

« فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونظر الله بنى إسرائيل وعلم الله »

فماذا تعنى هذه الكلمات ؟ وهل ينسى الله حتى يتذكر ؟ إنه أسلوب التوراة المعبر عن نفسية كتابها لأنه تعبير بشرى صرف .

جاء فى كتاب « التوراة تاريخها وغاياتها » ترجمة وتعليق سهيل ديب . صفحة ٢٥ تحت عنوان « ولادة المؤامرة » .

« إن نبوءة «حزقيال» الموضوعة بين السنوات ٥٩٢ - ٥٧٠ ق.م كانت بداية سيطرة المبدأ الفريسى على اليهودية ، كدين ، وهذا الواقع تدعمه حقائق دامغة، فنبوءة «حزقيال» تتجاهل تجاهلا تاما، الهكزاتوك أى الأسفار الستة الأولى من التوراة ، مما يحمل على أن هذه الأسفار الستة لم تكن موجودة البتة فى زمن « حزقيال » ، ومما يلفت النظر بشكل خاص ، بل مما يذهل حقا . أن « حزقيال » لم يأت البتة على ذكر موسى - عليه السلام - الرجل الأكبر لدى اليهود قاطبة ، مع ماله من مكانة عظيمة لدى اليهود ، وقد قام « حزقيال » عوضاً عن ذلك على وضع الشريعة منفرداً .

تقول نبوءة «حزقيال» « وأعطيكم قلبا جديداً وأجعل روحا جديدة فى داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى، وتحفظون أحكامى، وتعملون بها ، وتسكنون الأرض التى أعطيت آباءكم إياها ، وتكونون لى شعبا وأنا أكون لكم إلها » حزقيال ٣٦ : ٢٦ - ٢٨ .

فقد أتت نبوءة « حزقيال » - وللمرة الأولى - وإن كان ذلك بشكل بدائى - على تقديم الفكرة القائلة بأن السبى البابلى ، ليس سوى أسلوب « يَهْوَه فى تطهير إسرائيل المتمردة والملحدة والمتفسخة ، لتكون جاهزة للسيطرة على العالم عن طريق حكومة يهودية عالمية تقوم على دين « يهوه » .

وجاء فى صفحة ٢٩ تحت عنوان « ملاحم اليهود الأسطورية » فى ذات

المؤلف « وكان على الكتبة البابليين - مؤلفى التوراة - أن يهيئوا المنفيين اليهود نفسيا للرحيل من بابل ومنها يقومون على إحتلال العالم كما وعدهم « يَهْوَه » والطريق إلى ذلك ستكون طبعاً طويلة وشاقة ، ومن المستحسن أن يكون لها سابقة فى تاريخ اليهود .

لذلك فقد الغوا ملحمة ، تصف بعبارات اسطورية قصة رحيل سابق من بلد قوى آخر ، مصر ، ثم كيف سيحتلون بعد ذلك الأرض التى تدر لبنا وعسلا .

ولكن طال صبرهم ، وانتظروا وانتظروا ، وهم يقاسون شظف العيش ، وتحكم الزعماء ، وعم السخط الذى جاء فى سفر دانيال ، وسفر دانيال هذا مشكوك فيه . وثارت فئة من اليهود ضد حكامهم فى عهد الملوك «المكابيين» حوالى عام ١٦٨ ق.م عندما فقدوا أى أمل لهم في الحصول على الوعد وبرز حقدهم الدفين الذى أصبحوا يوجهونه إلى حكامهم ورؤسائهم الدينين بل إلى البشرية جمعاء إذ حاولوا الخروج على زعمائهم ، مفضلين العيش بين باقى الشعوب مثل سائر البشر ، إذ أنهم قد تأثروا بشكل واضح بالثقافة والمدنية اليونانية .

***

تقول نبوءة « حزقيال » « فى ذلك اليوم رفعت لهم يدى لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التى تجسستها لهم ، تفيض لبنا وعسلا . هى فخر كل الأراضى » حزقيال ٢٠ : ٦ .

أما قصة ضياعهم فى الصحراء لمدة أربعين عاما ، فغايتها تنبيههم إلى أن الطريق ستكون صعبة ، وأن أجيالا ستمر قبل أن يتحقق «الوعد» ولعل المؤلفين الفريسيين، قد لاحظوا نقطة الضعف فى الرواية التى الفوها ، وهى عدم وجود أى شاهد على الرواية غير موسى، فجعلوا من إجتماعات، موسى و«يهوه» إجتماعات سرية للغاية، بناء على تعليمات «يهوه» نفسه، إذ أعطى هذا الأخير تعليمات مشددة لكى لا يتجسس أحد عليها .

وبالنسبة لما جاء فى سفر الخروج ، فإننا لا نستطيع - مهما حاولنا - أن نجد سنداً تاريخياً يؤكد قصص « سفر الخروج » فالتاريخ المصرى ، وهو تاريخ مواز زمنيا لروايات الخروج ، جرى تسجيله بعناية ودقة بالغتين يرفض بعناد وإصرار أن يعطينا أى تأكيد أو إشارة لهذه القصص .

أما مشاق ومتاعب اليهود المذكورة فى سفر الخروج » والمجاعة الكبرى والكوارث الطبيعية العظيمة التى أصابت مصر - كما ذكرتها التوراة - فلا مخرج أمامنا سوى الجزم بأن اليهود قد إدعوها لأنفسهم لكى يعطوا لذويهم أمثلة من العذاب والإضطهاد الذين سيصيبانهم عندما تثور عليهم شعوب «الغوييم» فتتأجج لدى اليهود عاطفتا الحقد والانتقام، كما تعطيهم أمثلة حية عما سيفعله « يَهْوَه » بهؤلاء « الغواييم » إذا ما ثاروا على اليهود واضطهدوهم .

يقول النص التوراتى :

« فقال الرب لموسى إذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً ، وليغسلوا ثيابهم ، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث ، لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء ، وتقيم للشعب حدوداً من كل

ناحية قائلا : إحترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه ، كل من يمس الجبل يقتل قتلا ، لا تمسه يد يل يرجم رجما أو يرمى رمية بهيمة كان أو إنسانا لا يعيش ، أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل » سفر الخروج ١٩ : ١٠ - ١٣ .

وجاء فى الكتاب نفسه فى صفحتى ٢٢ ، ٢٣ تحت موضوع : إله إسرائيل، على الأبرياء من المسيحين أن يتذكروا دوما ما هو مفهوم اليهود لإلاههم القبلى « يَهْوَه » وأن يتذكروا أيضا أن « الغوييم » ليس لهم الحق بتسميتهم إلها لهم ، أى إله لغير اليهود ، إنه رب إسرائيل ، وإسرائيل وحدها ، قدوس إسرائيل الأوحد .

« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد إختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » .

« وقلت لكم ترثون أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا أنا الرب الهكم الذى ميزكم عن الشعوب » لاويون ٢٠ : ٢٤ .

« وتكون لى قديسين لأنى أنا قدوس أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى » لاويون ٢٠ : ٢٦ .

« وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل « يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا إسمى إلا الأبد وهذا ذكرى إلى دور فيدور » خروج ٣ : ١٥ .

ويتساءل المرء بشئ من الإستغراب ، بعد قراءة التوراة : من هو الذى إختار الآخر ؟ أهو الرب الذى إختار شعبه أم هو الشعب الذى إختار الرب ؟!! شئ عجيب فعلا .

ويدعى اليهود بفخر أنهم الذين إبتدعوا فكرة التوحيد - كما سبق أن قلنا - أى الإله الواحد ، لكن طريقتهم فى تثبيت وإستكمال هذه الفكرة فى التوراة لم تكن بالطريقة المستحسنة أو المستحبة إذ أن كتبهم لا تشير إلى الإله الواحد إلا من خلال سيطرته على الآلهة الأخرى ، والوصية الأولى لا

تشير إلى إله واحد كونى وازلى ، بل إلى إله إسرائيل وحدها ، والذى يجب على اليهود عبادته دون غيره من الآلهة .

أما هذه الألهة الأخرى فقد ورد ذكرها باستمرار فى العهد القديم إذ أضاف الفريسيون فكرة جديدة راجعة إلى مفهوم الرب القبلى السامى لدى اليهود ، من أن «يَهْوَه» سيقوم بتحطيم الآلهة الأخرى جميعها ، ويحكم الأرض وحده عندئذ دون غيره من الألهة، إذ يكون قد إنتصر عليهم وذلك بواسطة شعبه المختار «الرب مخيف إليهم، لأنه يهزل جميع آلهة الأرض، فيسجد له الناس، كل واحد من مكانه، كل جزائر الأمم» نبوءة صفنيا ٢:١١ .

والخلاصة :

أن فلسطين أصبحت ولاية مصرية ذات وحدة سياسية مستقلة فى نطاق مجموعة الولايات المصرية ، بعد أن تعاقب عليها الفرس والأغريق ثم سوريا ثم الإمبراطورية الرومانية ، وفى عصر هذه الأمبراطورية ظهر « يسوع المسيح ، رسولا نبيا ، ثم كان الفتح الإسلامى عام ٦٣٨ م ، إذ تسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مفاتيح بيت المقدس من يد البطريرك صفرونيوس طواعية وإختياراً ليصبح المسجد الأقصى والقدس وديعة أبدية فى أعناق المسلمين إلى يوم القيامة - إن شاء الله .

اليهودية والصهيونية

وجهان لعملة واحدة

لقد حاول كثير من الكتاب البحث عن نشأة الصهيونية وهل هى غير اليهودية أم أنها من اليهودية بمنزلة الإبن للأب . ؟

هناك إنطباع عام عند بعض الكتاب والمفكرين والمثقفين أن اليهودية أعم من الصهيونية وأن الصهيونية تأتى فى المرتبة الثانية لليهودية ولكنها فى ذات الوقت حيوية إلى أبعد الحدود بالنسبة لها .

وإذا كان منطلق اليهودية دينى إلى حد ما فإن منطلق الصهيونية سياسى تسلطى إنتهازى إذ أنها تطبيق عصرى لتعاليم التوراة اليهودية ، فإذا كانت الأهداف الأساسية للسياسة اليهودية إحتلال العالم - على المدى الطويل - فإن أهداف الحركة الصهيونية التركيز أساسا على منطقة الشرق الأوسط - فى الوقت الحالى على الأقل . ومن هنا نرى أن الهدف لدى الأثنين واحد . وقد تعاهدا على أن يعملا سويا لهدف واحد مشترك ، وقد أستندا فى ذلك إلى نصوص وردت فى العهد القديم مثل :

« لأن الرب قد إختار صيهون إشتهاه مسكنا له » مزامير داود .

وجاء فى المزامير أيضا :

« رنموا للرب الساكن فى صهيون لأنه مطالب بالدعاء »

وجاء فى سفر أشعياء :

« ويكون فى آخر الأيام أن جعل بيت الرب ثابتا فى رأس الجبل ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صيهون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » .

ولاشك أن الحركات الهدامة تعتبر أهم أسس السياسة اليهودية لذلك كانت المنظمات السرية الوسيلة الخفية التى تستعمل لتنفيذ هذه السياسة إذ أن هذه المنظمات السرية كثيراً ما نجحت خلال عصور التاريخ المختلفة فى التلاعب بمصائر كثير من الدول وتغيير نظام بنظام ، وأثرت بطريق مباشر وغير مباشر فى مصائر المجتمعات ومستقبل النظم والحكومات .

ولما كانت الأهداف اليهودية فى جوهرها وتفصيلاتها تمثل عداء رهيبا للبشرية ، فمن الحماقة . بل من الغباء أن يكشف اليهود عن هذا العداء ، حتى لا تنقلب عليهم الشعوب والدول ، ويكون مصيرهم الإبادة والتشتيت، ويعودوا إلى عصور التيه التى ذاقوا منها الأمرين ، وهم الذين الفوا حياة الدعة والإستقرار ، وتفرغوا تفرغا تاما للتفكير فى وسائل التدمير . النفسى والخلقى والإجتماعى ، وحياكة المؤآمرات للإيقاع بأكبر قدر من شعوب العالم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، وقوله : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » .

« إفرازات الصهيونية »

إفرزت الصهيونية جراثيم وآوبئة وأمراضا فتاكة ، للقضاء على أكبر قدر ممكن من شعوب العالم لتظل لها السيطرة والهيمنة والبطل الفرد عل مسرح الحياة .

الجرثومة الاولى : بروتوكولات حكماء صهيون :

تعتبر بروتوكولات حكماء صهيون ، من أخطر الوثائق التى وضعها اليهود الصهاينة ، للسيطرة والتملك ، وقد أملاها عليهم شيطانهم بصدق وإخلاص ومحبة ، فالحبيب يعطى المحب أفضل وأغلى ما عنده ، فجاءت على أعلى درجة من الكراهية والغل والشر والوحشية ، لأننا لو توهمنا أن عصبة من أعتى الابالسة الأشرار إتفقوا أفراداً أو طوائف فى إبتكار أجرم خطة لتدمير العالم، لما تفتق عقل أشد هؤلاء الابالسة إجراما وخسة وعنفا ، من هذه المؤامرة التى تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة ١٨٩٧ ، الذى درس فيه المؤتمرون أفضل خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم .

وهذه البروتوكولات توضح أهم معالم هذه الخطة ، وسوف نتناول كل بروتوكول بإيجاز شديد ، تفاديا للإطالة والإسهاب ولكننا سنركز على أهم النقاط التى تؤيد ما ذهبنا إليه بشأن هذه البروتوكولات .

من البروتوكول الأول :

« .... إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شئ والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه لابد لطالب الحكم من الإلتجاء إلى المكر والرياء ، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة ، تصير رذائل فى السياسة وأنها تبالغ فى زعزعة العرش أعظم مما يبلغه الد الخصوم ، هذه الصفات لابد أن تكون هى خصال البلاد الأممية (غير اليهودية) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدى بهم على الدوام .

إن حقنا يكمن فى القوة ، وكلمة « الحق » فكرة مجردة ، قائمة على غير أساس فهى كلمة لا تدل على أكثر من « إعطنى ما أريد لتمكننى من أن أبرهن لك بهذا على إنى أقوى منك .... إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا ، ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى ، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد .... ، إن الجمهور بربرى وتصرفاته فى كل مناسبة على هذا النحو ، فما أن يضمن الرعاع الحرية ، حتى يمسخوها سريعا فوضى ، والفوضى فى ذاتها قمة البربرية .... ، يجب أن يكون شعارنا « كل وسائل العنف والخديعة » .

إن مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها ، وسوف ننتصر ونستعبد الحكومات جميعا تحت حكوماتنا العليا ، لا بهذه الوسائل فحسب بل بصرامة عقائدنا أيضاً ، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون فى كبح كل تمرد .

من البروتوكول الثانى :

« إن الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء وأن حرية الكلام قد ولدت فى الصحافة ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه

القوة بالطريقة الصحيحة ، فسقطت فى أيدينا ، ومن خلال الصحافة احرزنا نفوذاً ، وبقينا نحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم ... ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافا من الأمميين (غير اليهود) أمام الله .

من البروتوكول الثالث :

« إن قوتنا تكمن فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين ، لأننا بذلك نستبقية عبداً لإرادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزما للوقوف ضدنا ، وأن الجوع سيخول رأس المال حقوقا على العامل ، أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الارستقراطية ونحن نحكم الطوائف بإستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التى يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هى وسائلنا التى نكتسح بها بعيداً كل من يصدنا عن سبيلنا .

من البروتوكول الرابع :

« إن الصراع من أجل التفوق، والمضاربة، وفى عالم الأعمال، سيخلفان مجتمعا أنانيا غليظ القلب ، منحل الأخلاق ، هذا المجتمع سيصير منحلا كل الانحلال ، ومبغضا أيضاً من الدين والسياسة وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد ، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب ، متخذا اللذات المادية التى يستطيع أن يمده بها الذهب ، مذهبا أصيلا ، وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ، ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين ، دون الاحتجاج بدافع نبيل ، ولا رغبة فى الثورات أيضاً ، بل تنفيسا عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا ...

من البروتوكول الخامس :

« .... ثم ما لفرق بالنسبة للعالم ، بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية ، وأن يكون طاغية من دم صهيون ؟

ولكن لا يمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة إلينا نحن « الشعب المختار » قد يتمكن الأميون فترة من أن يسوسونا ، ولكننا مع ذلك فى حاجة إلى الخوف من أى خطر ما دمنا فى أمان ، بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضا ، وهى كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها .. لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره ، فى جميع أغراض الأميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية ، خلال عشرين قرنا ، ومن هذا كله نقرر حقيقة ، هى : أن أى حكومة متفردة لن تجد لها سندا من جارتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا ، لأن كل واحدة منهما ، ستظن أن أى عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتى .

وتجريد الشعوب من السلاح فى هذه الأيام ، أعظم أهمية من دفعه إلى الحرب وأهم من ذلك ، أن نستعمل العواطف المتأججة فى أغراضنا ، بدلا من إخمادها ، وأن نشجع أفكار الآخرين ، ونستخدمها فى أغراضنا ، بدلا من محوها ، إن المشكلة الرئسية لحكومتنا هى ، كيف نضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف نفقده قوة الإدراك التى تخلق نزعة المعارضة ، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف ... »

من البروتوكول السادس :

« لكى نخرب صناعة الأميين ، ونساعد المضاربات سنشجع الترف المطلق الذى نشرناه من قبل ، وسنزيد الأجور التى لن تساعد العمال ، كما أننا فى الوقت نفسه ، سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك ، كما سننسف بمهارة أيضاً أسس الانتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال ، وبتشجيعهم على الإدمان للمسكرات ، وفى الوقت نفسه ، سنعمل كل وسيلة ممكنة ، لطرد كل ذكاء أممى (غير يهودى) من الأرض ... وأن الدعاية التى لنظريتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة ... » .

من البروتوكول السابع :

« إن النجاح الأكبر فى السياسة ، يقوم على درجة السرية المستخدمة فى اتباعها وأعمال الدبلوماسى ، لا يجب أن تطابق كلماته ولكن نعزز خطتنا العالمية الواسعة ، التى تقترب من نهايتها المشتهاة يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين ، بما يقال الأراء العامة التى دبرناها نحن فى الحقيقة من قبل ، متوسلين بأعظم القوى جميعاً ، وهى الصحافة وإنها جميعا لفى أيدينا ، إلا قليلا لا نفوذ له ولا قيمة يعتد بها ، وبإيجاز ، من أجل أن نظهر إستعبادنا لجميع الحكومات الأممية فى أوربا سوف نبين قوتنا لواحدة منها ، متوسلين بجرائم العنف ، ذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب ، وإذا ما إتفقوا جميعا ضدنا ، فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية ... » .

من البروتوكول الثامن :

« .. اننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين وهذا هو السبب فى أن علم الإقتصاد ، هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود ، وسنكون محاطين بآلاف من رجال البنوك ، وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين - وأمرهم لا يزال أعظم قدراً - إذ الواقع أن كل شئ سوف يقرره المال ... »

من البروتوكول التاسع :

« إننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع ، واننا المتسلطون فى الحكم ، والمقررون للعقوبات ، وإننا نقضى بإعدام من نشاء ، ونعفو عمن نشاء ، ونحن - كما هو واقع - اولو الأمر الأعلون فى كل الجيوش ... ونحن نحكم بالقوة القاهرة ، لأنه لا تزال فى أيدينا الفلول التى كانت الحزب القوى ... وإننا نسخر فى خدمتنا اناسا من جميع المذاهب والاحزاب من رجال يرغبون فى إعادة الملكيات ، وإشتراكيين وشيوعيين وحالمين بكل أنواع الطوبيات ، ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج .

من البروتوكول الحادى عشر :

« إن الأميين - غير اليهود - كقطيع من الغنم وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة إنها لتغمض عيونها عن كل شئ ، وإلى هذا المصير سيدفعون ، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم ، بعد التخلص من أعداء العالم ، وإضطرار كل الطوائف إلى الخضوع ، ولست فى حاجة ملحة أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الإنتظار، حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة .

من رحمة الله ، أن شعبه المختار مشتت ، وهذا التشتت الذى يبدو ضعفا فينا أمام العالم - قد ثبت أنه قوتنا التى وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية .

من البروتوكول الثانى عشر :

- الادب والصحافة ، هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ، ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات وبهذه الوسيلة ، سنعطل التأثير السئ لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جداً على العقل الإنسانى ... ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة ... وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندى « فشنو » لها مئات الأيدى . وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب ، ومتى إزداد النبض سرعة ، فإن هذه الأيدى ستجذب هذا الرأى نحو مقصدنا ... »

من البروتوكول الخامس عشر :

« سنعمل كل ما فى وسعنا ، على منع المؤمرات التى تدبر ضدنا ، حين نحصل نهائيا على السلطة ، متوسلين إليها بعدد من الإنقلابات السياسية المفاجئة ، التى سننظمها بحيث تحدث فى وقت واحد ، فى جميع الأقطار ولكى نرد كل الجماعات الأممية على أعقابها ، ونمسخها - هذه الجماعات التى غرسنا بعمق فى نفوسها الإختلافات والمبادئ نزعة المعارضة - سنتخذ

معها إجراءات لا رحمة فيها ، مثل هذه الإجراءات لا تعرف الأمم أن سلطانا لا يمكن أن يعتدى عليها ، ويجب إلا يعتد بعدد الضحايا الذين سيضحى بهم للوصول إلى النجاح فى المستقبل .... »

فهذه نماذج مختصرة من بروتوكولات حكماء صهيون ، التى وضعوها لزعامة العالم على المدى الطويل ، وقد رأينا أنهم لم يشترطوا السرعة فى تنفيذ هذه البروتوكولات ، لأنهم يستعملون سياسة النفس الطويل فى تطبيقها ، وقد رأينا أن كل بروتوكول يحمل فى طياته كمية من الألغام التى تنسف قدراً كبيراً من القيم والأخلاق التى يتمسك بها أصحاب الحضارات الراقية التى أعطت الإنسانية الكثير من الثقافة والمعرفة منذ آلاف السنين ، ولكن هذه الآفات الصهيونية باتت تنذر بخطر ماحق ، سوف يطيح بكل من يقف فى طريقه ، فهل يرضى العالم المتحضر صاحب الشعارات ، بهذا لشر المستطير ؟

وهناك جمعيات سرية تعتبر من أهم المؤسسات التى أنشأها اليهود لتنفيذ أغراضهم ، والوصول إلى أهدافهم ، وهو الكيد والتدمير لما سواهم من الأمميين ، فلا تكاد توجد جمعيات ذات أسرار وطقوس ، إلا كان اليهود يعملون من خلالها ، ويوجهونها نحو تحقيق أغراضهم الدنيئة ، فقد أثبت التاريخ أنهم كانوا خلف فرسان المعبد ، وجمعية الصليب الوردى وكانوا خلف القرامطة أو الحشاشين ، وغلاة الشيعة وغير ذلك من الجمعيات التى ناصبت المسلمين العداء .. رغبة فى الكيد للإسلام والنيل من أهله ، والعمل على زعزعة أركانه بشتى الطرق وبث الفرقة بين المسلمين حكومات وشعوبا ، كان هذا سبيلهم منذ قديم الزمان ، ومازال حتى يومنا هذا .

وفى العصر الحديث أنشأ اليهود مؤسسات لا تقل خطورة عن بروتوكولاتهم ، وهذه المؤسسات هى :

الماسونية ، الروتارى ، الليونز ، منظمة شهود يهوه، ولكل مؤسسة من هذه المؤسسات نظمها وطقوسها ولكنها فى النهاية متحدة الأغراض وهى

خدمة الصهيونية العالمية وهذه المؤسسات تحيط نفسها بالسرية التامة ، ولا يسمح بالإشتراك فيها إلا لمن يوجد فيه الطاعة العمياء لتنفيذ أغراضها وتحقيق أهدافها .

فمثلاً بالنسبة للماسونية

نجد أن لها أهداف ظاهرة وأخرى باطنة أما الأهداف الظاهرة فهى تظهر للسذج كأنها كما يقول : كاريوس شاهين:جمعية أدبية تخدم الإنسانية وتنور الأذهان، وتنشر الإخاء وتوطد الحب بين الأعضاء، وتحثهم على فعل الخير والاحسان لإخوانهم وقد إتخذت لنفسها شعاراً يعبر عن المساواة والإخاء والحرية .

فهل يعقل أن اليهود والصهيونية يعملان لتحقيق هذه الشعارات وهل أصبح الناس من السذاجة بحيث يصدقون هذه الحيل والألاعيب .

أما الروتارى :

فهو عبارة عن نوادى توجد فى العواصم والمدن الكبرى ، والغرض الظاهرى منها هو النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية ، والقاء المحاضرات ، والخطب ، والعمل على التقارب بين اتباع الاديان المختلفة فى البلدان المتعددة .

أما الغرض الحقيقى فهو أن يمتزج اليهودى بالشعوب الأخرى باسم الاخاء والود ، ثم يحاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جميع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم إقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية ، والإيقاع بالمجتمعات البشرية فى حبائل الصهيونية وشركها الذى يصعب الخلاص منه وسوف نضرب صفحا عن باقى هذه المؤسسات فكلها تدور فى هذا الفلك ولا تفترق إلا فى الشكل الظاهر فقط .

(١) أنظر اليهودية للدكتور أحمد شلبى .

رأى بعض الأدباء والمفكرين

فى اليهودية والصهيونية

ليس من المقبول خلقا ودينا ، أن يرضى الادباء والمفكرون والمثقفون فى أرجاء العالم بهذه الهجمة الصهيونية المدمرة ، التى تكاد أن تأتى على الأخضر واليابس من التراث الإنسانى فى الماضى والحاضر والمستقبل فكان أن تنادى أصحاب الأقلام الحرة للوقوف أمام هذا الزحف العنصرى المدمر ، فشهر الكثير منهم أقلامهم - وهو سلاحهم الوحيد - مدافعين عن حقوق الإنسانية التى تغتصب ، وتدفن ، ليظل الفكر اليهودى الصهيونى وحده على الساحة يصول ويجول ، يملى تعاليمه ويفرض آراءه .

فهذا شاعر الانجليز العظيم « شكسبير » يقوم بتأليف مسرحية « تاجر البندقة » يجسد فيها كل مخازى اليهود وأطماعهم واغراضهم الدنيئة التى ظهرت بشكل واضح فى شخصية « شايولك » ولكن ما كان لليهود أن يسكتوا علي هذا التهجم عليهم وفضحهم على المسرح أمام النظارة جهاراً نهاراً فكان أن نجح الإسرائليون فى دفنها ، وإهالة التراب عليها ، وبلغت سطوتهم إلى إقتحام حرم الجامعات الإنجليزية وأمريكا حتى أصبح من النادر أن تدرس هذه المسرحية ضمن أعمال الشاعر الكبير المسرحية اللهم فى إشارات عابرة مخافة أن يتهموا بمعاداة السامية .

فى أواخر عام ١٥٩٤ ، مثلت مسرحية « يهودى مالطة » لمارلو ، وكان لها تأثير كبير على جمهور المشاهدين ونجحت نجاحا ضخما بحيث أنها طافت مدن إنجلترا الرئيسية ، وفيها نجد « يارا باس » اليهودى مثل « شيلوك » عند شكسبير فيما بعد ، إذ يتملك الأموال الطائلة ، ويتحكم فى إبنته الوحيدة ، لكى يبعدها عن الوقوع فى غرام أى شاب مسيحى ، فقد كان يضمر للمسيحيين أشد البغض والكراهية ، ويتحين الفرص للإنتقام منهم فكان كل همه مركزاً فى تمجيد ابناء جنسه ، وتدمير الأجناس الأخرى .

فهذه هى الشخصية اليهودية عند شكسبير ومارلو ، شخصية لا تعبد سوى المال ولا تمقت سوى الأديان الأخرى ، وقد عبر الشاعران عن هذه النفسية أصدق تعبير ، فليس عجيبا أن تتبرأ معظم الشعوب من هذه الشرذمة على مر الازمان والعصور .

رأى الأديب الإنجليزى « الدس هكسلى »

لاحظ (هكسلى) لدى مراقبته لما يجرى فى المجتمعات المعاصرة فى أوربا وأمريكا ، أن المنظمات الصهيونية كانت تحقن جسم كل مجتمع من مجتمعات هاتين الدولتين ، بسموم الفساد الشامل ، وصور هذا النشاط الصهيونى التخريبى فى روايته « العالم الجديد الرائع » التى الفها عام ١٩٣٢ ، تناول فيها بالتحليل أنواعا كثيرة من ظواهر الفساد الذى تنشره المنظمات الصهيونية فى المجتمعات غير اليهودية ، وركز على تجسيد النتائج الوبيلة التى تنتظر العالم ، إذا ظل ساكنا على هذا الهدم ، ولكن الجديد فى قصة « العالم الجديد الرائع » هو القالب الكبير الذى صاغ فيه هكسلى هذه الفكرة العامة ، إذ تخيل الكاتب أن أتباع الصهيونى صاحب البلايين « فورد » أحكموا سيطرتهم على معظم أصقاع الكرة الأرضية ، فى عمل تخريبى متواصل ، مفسد للأخلاق ، دام ستة قرون .

كذلك أبرزت رواية « هكسلى » وسائل الصهيونية فى الدعاية السامة من أجل هدم الأخلاق ، وإستند فى ذلك على المعلومات التى كان يتداولها

الناس فى عصره عن وضع الصهيونيين لوسائل النشر والدعاية فى أوربا وأمريكا تحت أيديهم ، وعن جعلهم لها واسطة لإفساد أجيال الشباب وتخريبهم من الداخل عن طريق إغوائهم بالشهوات البهيمية ، ولإشاعة الإنحلال الخلقى، الذى يحمل معه أمراضا إجتماعية كثيرة، تستنزف قوى المجتمعات غير اليهودية، وقد وضع «هكسلى» ثلاثة أنواع من ظواهر الإفساد الخلقى ، تتمثل فى : فوضى الجنس، عادة إدمان العقاقير المخدرة والإكثار من أماكن اللهو التى تقدم لروادها المتع الجماهيرية السخيفة .
عندما مثل «إنشتاين» أمام لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية عام ١٩٤٦ أجاب على سئوال وجهه إليه أحد الأعضاء، عما إذا كان يرى من الضرورى إنشاء دولة يهودية لحل قضية اللاجئين اليهود ، فقال :

« إن فكرة إنشاء دولة يهودية ، لا تلاقى هوى فى نفسى ، إذ إنى لا أفهم الحاجة إلى قيام هذه الدولة .. وأقول : إنها فكرة نبتت فى رؤوس فريق من اليهود أصحاب العقول الضيقة .. ثم إن الصعوبات الإقتصادية كفيلة بأن تقضى عليها ، ولذا فإنى اعتقد أنه من الخطأ التفكير بإنشاء مثل هذه الدولة التى كنت ومازلت ضدها »

وفى ربيع عام ١٩٥٢ وجه « إنشتاين » رسالة إلى مؤسسة أطفال فلسطين ، قال فيها :

« لقد أصبح من الضرورى كبح جماح الوطنية المتطرفة التى برزت فى إسرائيل ، حتى يعيش الجميع هناك فى صداقة ووئام مع العرب » .

ويبدو أن هذا المقطع من رسالة « إنشتاين » لم يرق لسكرتيرة المؤسسة « أولينيا بيريل » إذ حذفته من أساسه عندما وزعت الرسالة على الصحافة الأمريكية لنشرها .

وبسبب هذه الرقابة الصهيونية الحمقاء، التى سمحت لنفسها أن تشوه رسالة إنسانية، فقد قصدت جامعة برنستون، وأبديت لأنشتاين وجهة نظرى

بصراحة، وكان جوابه لى، إنه يستنكر هذا التدبير وقال : إنه ما كان فى يوم من الأيام صهيونيا أو من مؤيدى قيام دولة إسرائيل، إن كلمة الحق لن تعدم نصيرا، وسيظل التاريخ يذكر لهؤلاء وغيرهم هذه الآراء الجرئة التى جهروا بها على صفحات الصحف والمجلات، فى وجه عدو الإنسانية الأول، الذى يحمل على كتفه دائماً سيف الإنتقام، تحقيقا لنبوءة زائفة ومقولة حمقاء .

وسوف تدور عليه الدائرة ، إن عاجلا أو آجلا، لأن حكم الله فيه قاطع، وما كان لحكم الله أن يتخلف .

أثبت الواقع والتاريخ أن اليهود تجار الشرور، قتلة الأنبياء، أفرزوا الصهيونية، فكانت بئس النتاج لأرض بلقع، زرعها الاستعمار فى قلب العالم العربى، وحماها، ودافع عنها، وغذاها، حتى باتت ذات ناب ومخلب، وإستأسدت على من حولها. تبغى إفتراسه، فسرقت وقتلت، ونهبت، وبغت، وظلمت، وإستشرى خطرها، واستفحل داؤها وباتت بالمرصاد لكل ما هو إسلامى، على وجه الخصوص، فى سعى دؤب وعزيمة لا تكل وتفكير لا يمل، إنه هدف «مقدس» بالنسبة لها تكرس له كل مخزون مادى ومعنوى حتى تصل إلى هذا الهدف الغير مقدس، وهى -علم الله- ثرية ثراءاً فاحشاً فى الحيل الشيطانية والوسائل الغير أخلاقية، ثراء لا يكاد ينضب له معين .

فهل مازلنا حسنى الظن بجيراننا « إبناء عمومتنا » ؟

لقد خُدعنا، فصدقنا العدو وحسبناه صديقا، وكره بعضنا بعضا وتربص كل منا بالآخر ، وأصبحت نظرة الشك والإرتياب ، تحيط بنا من كل جانب ، وإستطاعت قوى الشيطان أن تسيطر على عقول الكثير منا فعمى ، وضل سواء السبيل ، وإختلط الأمر ، وتفشى عمى الألوان بين شريحة كبيرة ، ووقعنا فى شرك الوقيعة والفتنة .

ذلك لأن قوى الشر ، إستطاعت أن تنال منا ، وأن تهز قيمنا الاسلامية

الأصيلة من داخلنا ، وأعطينا عدونا الفرصة لتكون له الكلمة علينا فأمر ونهى ، ومنح ومنع ، ونحن بحسن نيه ، نصدقه .

فيا أولى الأمر فى أمة الإسلام ، أعيدوا النظر فيما آل إليه أمرنا فى وقتنا الحالى ، فقد أصبح الكثير منا مسلما بالإسم ، وأما الفعل فهو فعل الشياطين ، أعيدوا ترتيب أوراقكم على ضوء من هو العدو ومن هو الصديق . دعموا مكانتكم فى قلوب المسلمين وكونوا لهم قدوة يكونوا لكم تبعا . «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول المحبة والحرية والمساواة وعلى آله وصحبه وسلم » .

بقلم / عبد الفتاح حسين الزيات

الجيزة فى ٢ / ٣ / ١٩٩٨

فهرس المراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – صحيح البخارى .

٣ – صحيح مسلم .

٤ – بنوا إسرائيل فى القرآن والسنة — أ . د محمد سيد طنطاوى

٥ – القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم — د . موريس بوكاى

٦ – يوميات هيرتزل — هيرتزل

٧ – النبى موسى ورسالة التوحيد — د . عبد المنعم الحفنى

٨ – حجية التوراة — د . أحمد الحوفى

٩ – التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى — د . صبرى جرجس

١٠ – عقائد بنى إسرائيل فى القرآن الكريم — د . على أحمد الخطيب

١١ – الكتاب المقدس .

١٢ – داود صاحب المزامير — القس / منير عبد النور

١٣ – اليهود أنثروبولوچيا — د . جمال حمدان

١٤ – التلمود كتاب إسرائيل المقدس — عبد المنعم شميس

١٥ – اليهود فى الكتب المقدسة — د . محمود محمد عمارة

١٦ – الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف — د . يحيى محمد ربيع

١٧ – تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة — لواء / أحمد عبد الوهاب

١٨ – أمريكا واليهود — الاستاذ / مصطفى السعدنى

١٩ – من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية — د . أحمد حجازى السقا

٢٠ - على التوراة - كتاب فى نقد التوراة اليونانية تحقيق د . أحمد حجازى السقا
٢١ - الخطر اليهودى-بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسى
٢٢ - أضواء على الصهيونية الاستاذ مصطفى السعدنى
٢٣ - عظماء قاد ة الأديان د . عبد الجليل شلبى
٢٤ - دراسات فى التوراة الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى
٢٥ - إسرائيل والتلمود الشيخ إبراهيم خليل أحمد
٢٦ - التوراة السامرية د . أحمد حجازى السقا
٢٧ - على هامش الحوارين القرآن واليهود حسنى يوسف الأطير
٢٨ - تنقيح الأبحاث للملل الثلاث سعد بن منصور بن كمونة اليهودى
٢٩ - إفحام اليهود للإمام المهدى السموأل بن يحيى المغربى
٣٠ - اليهود فى القرآن للشيخ سيد سابق
٣١ - اليهود بين القرآن والتلمود للأستاذ عادل هاشم مرسى
٣٢ - التلمود كتاب الإرهاب الصهيونى كتاب دار التعاون للطباعة
٣٣ - التلمود شريعة بنى إسرائيل ترجمة واعداد محمد صبرى
٣٤ - الصهيونية على لسان قادتها ليونيل داديانى
٣٥ - الاستعمار والصهيونية وقضية فلسطين كمال الدين رفعت
٣٦ - الصهيونية العالمية وإسرائيل د . حنى ظاظا ود . عائشة راتب
٣٧ - فلسطين فى مواجهة الصهيونية
٣٨ - بين عصبة الأمم والأمم المتحدة الاستاذ على محمد على
٣٩ - إسرائيل البداية والنهاية الاستاذ يوسف محمود يوسف
٤٠ - اليهودية د . أحمد شلبى

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

** تم بحمد الله **

﴿ ربنا لا تؤخذانا إن نسينا أو أخطأنا * ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا * ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * وأعف عنا وأغفر لنا وأرحمنا * أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرن ﴾

وصلى اللهم على النبى المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ،

ماذا تعرف عن اليهودية...

عرف الإنسان من قديم الزمان الديانات السماوية.. والديانةاليهودية إحدي الديانات الثلاث والتي أتت من السماء لموسي عليه السلام وأصدق ما يعبر عن الديانة اليهودية هو الأسفار الخمسة والتي تنسب الي «موسي عليه السلام» ويطلقون عليها اسم التوراه وهذه الديانة حثت بعض علماء المسلمين علي دراستها لما بها من معلومات... ونحن نقدم للقارئ هذه الدراسة الشيقة ونحاول أن نقترب منها ونتعمق فيها لنتعرف علي أسفارها وما تحويه .

الناشر
أحمد فكري





